نقد العصمة البابوية في الفكر الكاثوليكي المعاصر، هانس كونغ وكتابه (معصوم؟ للتحقيق) أنموذجاً - دراسة تحليلية

د. عفاف بنت محمد بن إبراهيم الراشد الحميد

الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم

Dr.aalrashed@hotmail.com

ملخص البحث: يركز هذا البحث على النقد الكاثوليكي للعصمة البابوية من خلال ما كتبه هانس كونغ اللاهوتي الكاثوليكي الذي نقد عقائد الكاثوليكية وعلى رأسها عقيدة العصمة البابوية.

ويهدف البحث إلى التعريف بالعصمة البابوية وتطورها التاريخي، وكذلك التعريف بهانس كونغ ونقده للعصمة من خلال كتابه معصوم.

ومن نتائج البحث: – أن عقيدة العصمة البابوية عقيدة محدثة من قبل الكاثوليك ولم يرد ذكرها كمصطلح وكمعتقد لافي نصوص الكتاب المقدس ولافي عصر آباء الكنيسة ولا حتى في المجامع المسكونية النصرانية قبل مجمعي الفاتيكان الأول والثاني، بل جاءت بعد عهد المسيح بأكثر من ثمانية عشر قرنًا، كما أنها عقيدة رومانية الأصل.

– عدم وجود نص صريح في العصمة البابوية أدى إلى اختلاف النصارى عمومًا والكاثوليك بشكل خاص وتعدد قراءاتهم لنصوص الكتاب المقدس.

– أن موقف هانس كونغ من العصمة البابوية هو الرفض وعدم الاعتراف بها كما هو ظاهر من خلال انتقاداته في كتابه.

– كما أظهر البحث مدى أهمية وقيمة كتاب معصوم كنموذج للنقد الكاثوليكي المعاصر للعصمة البابوية

الكلمات المفتاحية: العصمة البابوية، الكاثوليكية، مجمع الفاتيكان، هانس كونغ، كتاب (معصوم؟)

Criticism of the papal infallibility in contemporary Chatholic Thought

Hans Kung and his book ' Infallible? An Inquiry ' amodel.

Analytical Study

Afaf Mohammad Ibrahim Alrashed Alhomaid

Associate Professor in the Department of Creed and Sects at Qassim University

Dr.aalrashed@hotmail.com\

ABSTRACT

This research focuses on the Catholic criticism of papal infallibility through what was witten by Hans Kung, the swiss theologian, who criticized Catholic doctrines, most notably papal infallibility .

The research aims to define papal infallibility and its historical development,as well as define Hans kung and his criticism of infallibility through his book infallible.

Research has shown that the doctrine of papal infallibility is adoctrine introduced by Catholic and is not mentioned as a term

As a belief,neither in the texts of the holy Bible ,nor in the era of the Church Fathers,nor even in the Christian ecumenical councils before the first and Second Vatican Councils , but rather came mor than eighteen centuries after the time of Christ .

The absence of an explicit text on papal infallibility has led to disagreement among Christians in general and Catholics in particular Multiple readers accused of reading the texts of the Bible.

The doctrine of infallibility is a doctrine of Roman origin .

Hans Kung's position papal infallibility is one of rejection and non-recognition of it,as is evident from his criticisms in his book

The research also demonstrated the importance and value of Masum's book as a model for contemporary Catholic criticism of papal infallibility.

Keywords: papal infallibility, Catholic, Vatican Councils, Hans Kung, infallibility?

نقد العصمة البابوية في الفكر الكاثوليكي المعاصر، هانس كونغ وكتابه (معصوم؟ للتحقيق) أنموذجًا - دراسة تحليلية

د. عفاف بنت محمد بن إبراهيم الراشد الحميد

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه.

لم يكن مصطلح العصمة البابوية حاضرًا في الفكر الكاثوليكي القديم، ولم تظهر وتتحدد العصمة البابوية كمعتقد وتتضح معالمها؛ بل ولم يتم تقديمها رسميًا إلا في المجامع الكاثوليكية المتأخرة والمتمثلة في قرارات مجمعي الفاتيكان الأول والثاني، حيث تم تقرير العصمة البابوية ووضع تعريف لها، والذي أدى إلى اعتراضات وانشقاقات في صفوف الكنيسة الكاثوليكية وظهور أسماء عديدة عارضت واحتجت على هذا المعتقد.

وكان المجمع الفاتيكاني الأول قد أقر بعقيدة عصمة البابا، ومن بعده المجمع الفاتيكاني الثاني الذي أعاد صياغة هذه العقيدة وقيدها بقيود لم تخل أيضًا من الاعتراضات والانشقاقات في الكنيسة الكاثوليكية، وقد ترتب على ذلك ظهور أسماء للاهوتيين عارضوا هذه العقيدة ونقدوها، وكان منهم- أي اللاهوتيين – من حضر في المجمع الفاتيكاني الثاني، واعترض فيما بعد على العصمة البابوية وهو اللاهوتي السويسري هانس كونغ، والذي كان وقتها أحد الأساقفة في الكنيسة الكاثوليكية، ومستشارًا في المجمع نفسه، وقد ألف كتابًا انتقد وناقش فيه ما يتعلق بالعصمة البابوية .

كما انتقد هانس كونغ عقائد أساسية في الإيمان المسيحي في مؤلفات أخرى، أدت جميعها إلى تجريده من الصفة الكهنوتية ومنعه من التدريس داخل الكنيسة.

ويأتي هذا البحث ليكشف موقف هانس كونغ من العصمة البابوية من خلال كتابه (معصوم؟).

أهمية البحث:

- ما يميز هذه الدراسة أنها تظهر النقد من داخل الكنيسة الكاثوليكية وليس من خارجها، وكون النقد متوجه إلى عقيدة أساسية من العقائد التي انفرد بها الكاثوليك عن غيرهم من الطوائف المسيحية، كما تتجلى أهمية موضوع العصمة في خطورتها من حيث جعل البابا أحد مصادر التشريع الكاثوليكي.

- القيمة العلمية لكتاب (معصوم؟) في الفكر الكاثوليكي المعاصر، فهو من المصادر القليلة التي أفردت موضوع العصمة بالنقد، كما تكمن أهمية الكتاب في الأثر الذي أحدثه في المحيط الكاثوليكي.

- وتتجلى أهمية البحث في كونه يبحث في كتاب غير مترجم إلى اللغة العربية، مما يشكل إضافة لهذا الموضوع غير موجودة في المصادر العربية حيث تم ترجمة بعض ما يتضمنه الكتاب من أقوال لهانس كونغ في نقد العصمة البابوية.

- ما تميز به هانس كونغ من استيعاب للفكر الكاثوليكي والذي يتجلى في كثرة مؤلفاته المتعلقة بالمسيحية أو بالكاثوليكية، بل وفي الدراسات الخاصة بالأديان أيضًا.

- ما تميز به هانس كونغ من نظرة إيجابية وموضوعية للإسلام من خلال تصريحاته ودفاعه سواء في مؤلفاته أم في محاضراته ومقالاته.

مشكلة البحث

هذا البحث يجيب عن سؤال رئيس هو:

ما موقف الكاثوليك المعاصرين من عقيدة العصمة البابوية؟

ويندرج تحت هذا التساؤل الأسئلة الآتية:

١/ ما المقصود بالعصمة البابوية؟

٢/ كيف نشأت عقيدة العصمة وكيف تطورت؟

٣/ من هو هانس كونغ وما موقفه من العقائد الكاثوليكية؟

٤/ ما موقف هانس كونغ هانس من العصمة البابوية من خلال كتابه (معصوم؟).

أهداف البحث

١/ التعريف بالعصمة البابوية.

٢/ إبراز نشأة وتطور عقيدة العصمة.

٣/ التعريف بهانس كونغ وبيان موقفه من العقائد الكاثوليكية.

٤/ بيان موقف هانس كونغ هانس من العصمة البابوية من خلال كتابه (معصوم؟)، وذكر نماذج لأقواله فيها.

الدراسات السابقة:

من خلال التتبع لما تم بحثه وتأليفه في هذا الموضوع نجد أن هناك دراسات عديدة تناولت مفهوم العصمة في الديانة المسيحية وتحديدًا عند ذكر الطائفة الكاثوليكية، وذلك من حيث تعريفها وتاريخها، ومنها:

١/ مفهوم العصمة في اليهودية والمسيحية وموقف الإسلام منها، دراسة مقارنة، للباحثة هبة إبراهيم العلي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠١١م.

وهي دراسة مقارنة للعصمة في الديانتين اليهودية والنصرانية في ضوء القرآن والسنة، وقد شملت العصمة بالمفهوم الواسع الذي يدخل فيه عصمة الأنبياء والكهان، والبحث يقع في فصلين الأول عن العصمة عند اليهودية، والثاني عن العصمة في المسيحية ،وقد خصصت الباحثة المطلب الثاني من المبحث الثاني للحديث عن عصمة البابوات وفيه ذكرت قرار العصمة وما يتعلق به من شروط ونقد مع رد مختصر، والمطلب يقع في ست صفحات.

٢/ البابوية عند النصرانية، دراسة عقدية مقارنة، موسى الشيخي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ.

ويقع البحث في أربعة أبواب، خصص الباب الأول في نشأة البابوية وآثارها على الكنيسة والمجتمع، والبطريركية عند الأرثوذكس نشأتها وآثارها، والباب الثالث عن البروتستانت وموقفهم من البابوية، وقد ذكر في أحد المطالب عقيدة العصمة من حيث تاريخها وخطورتها وآثارها وأساسها ومن ثم نقدها.

لكن تلك الدراسات ركزت على النقد الإسلامي ونقد الطوائف المسيحية عدا الكاثوليكية ولم تشر إلى النقد الكاثوليكي المعاصر لهذه العقيدة ولم تذكر دور هانس كونغ في نقد العصمة، ولم تذكر شيئًا عن كتابه (معصوم).

٣/ العصمة والأولية البابوية في المسيحية مقاربة تاريخية نسقية حسن القرواشي، بحث ضمن منشورات الندوة الدولية: مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ج ٢، ٢٠٠٢م

ويقع البحث في إحدى وعشرين صفحة، ويركز فيه الباحث على قراءات المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس للنصوص الكتابية وللقرارات المجمعية وبيان الاختلاف بين تلك القراءات، ولم يظهر النقد المعاصر للعصمة، وليس لهانس كونغ وكتابه ذكر في هذا البحث.

حدود البحث: الحدود الموضوعية للبحث هي نقد العصمة عند الطائفة الكاثوليكية المعاصرة ، من خلال ما كتبه هانس كونغ في كتابه (معصوم؟).

إجراءات البحث

- الاستعانة بالنسخة المترجمة من الألمانية إلى الإنجليزية لكتاب (معصوم).
- قراءة كتاب (معصوم) وتحديد مواضع الاقتباس من الكتاب وترجمتها.
- التعريف ببعض المصطلحات التي لها صلة بموضوع البحث.

- الرجوع إلى المصادر النصرانية في بيان مفهوم العصمة البابوية قدر الإمكان.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة هذا البحث أن يتبع فيه المنهج الوصفي من خلال عرض المفاهيم والتعريفات الخاصة بالعصمة وما يتعلق بها ، وكذلك المنهج التحليلي من خلال التعليق على أقوال هانس كونغ في العصمة وتصنيفها .

خطة البحث

التمهيد: في التعريف بمصطلحات البحث.

البابوية، مجمع الفاتيكان الأول، مجمع الفاتيكان الثاني، الكاثوليكية، الكوريا الرومانية

المبحث الأول: التعريف بالعصمة البابوية وتطورها التاريخي

المطلب الأول: تعريف العصمة البابوية

المطلب الثاني: التطور التاريخي لعقيدة العصمة البابوية

المبحث الثاني: التعريف بهانس كونغ

المطلب الأول: حياته ومكانته العلمية والدينية

المطلب الثاني: نقده للكاثوليكية وموقف الكنيسة منه

المبحث الثالث: التعريف ب كتاب (معصوم) لهانس كونغ.

المطلب الأول: وصف الكتاب وعرض أبرز محاوره

المطلب الثاني: موقف هانس كونغ من العصمة البابوية من خلال كتابه (معصوم؟)، ونماذج لأقواله فيها.

د. عفاف بنت محمد بن إبراهيم الراشد الحميد

التمهيد

في التعريف بمصطلحات البحث

أولًا: الكاثوليكية وهي إحدى صفات الكنيسة المعلنة في قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني ،وأصل الكلمة مأخوذ من اللفظ اليوناني كاثوليكس (katholikos) وتعني العام أو العالمي، وينسب إلى هذه الفرقة عامة المسيحيين في الغرب، لذا تسمى كنيستها الكنيسة الغربية أو اللاتينية أو البطرسية نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين، وتتبع هذه الكنيسة النظام البابوي الذي هو المشرع بعد عيسى وجميع بابوات روما هم خلفاؤه.

والكاثوليكي هو المسيحي المتحد إيمانا وطاعة بكنيسة روما، ويقود هذه الطائفة أسقف روما ومقره دولة الفاتيكان، وهو رئيس هذه الدولة التي مقرها روما في إيطاليا.[١]

ثانياً : التعريف بالبابوية Papacy.

اختلفت المصادر النصرانية في تحديد الأصل اللغوي لكلمة (البابا) فهناك من يرى أنها مترجمة من كلمة (بطريرك) الأعجمية والتي كان يسمى بها أسقف أنطاكية وحده.

ورأي آخر يرى أنها كلمة يونانية الأصل مأخوذة من باباس (papas) وتعني الأب [٢]، وهناك من يرى أنها اسم مركب من (أب أبا) ثم خففت بلفظ بابا.

---

[١] ينظر: معجم الإيمان المسيحي ص ٣٩٠، معجم الأديان، ص ١٣٩، اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٤٦٦، قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ومن اللاهوتيين، ص ٨٢٤.

[٢] ينظر: قاموس الأديان الكبرى الثلاث، نور الدين خليل ص ٦٠٢.

وكان النصارى الشرقيون يستعملونها كلقب للقساوسة، أما النصارى الغربيون فكانت مختصة بالأساقفة، وجرى العرف في الغرب على أن يختص بها أسقف روما وحده من باب التشريف.

وفي دائرة المعارف الكتابية أنها: كلمة أرامية بمعنى أب، ولا توجد في العهد القديم في العبرية ولا في الترجمة السبعينية، وقد استخدمها اليهود والمسيحيون الأوائل في مخاطبة الله، ثم استخدمت بعد ذلك في الشرق لقبًا للأساقفة والبطاركة. ولم يكن مسموحًا للخدم أو العبيد باستخدام هذا اللفظ في مخاطبتهم لرب البيت.[٣]

والبابوية وظيفة منصب ديني يطلق على الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية (أسقف رومه)، كما تطلق على المؤسسة البابوية وسلطاتها وهيئاتها، كما أطلقت البابوية أخيرًا على رئيس الكنيسة الأرثوذكسية، والبابا إسم أطلق أولًا على جميع الأساقفة نظرًا إلى أبوتهم الروحية، ثم حصر في النصف الأول من القرن الثالث في أسقف الكرسي الأسكندري، وفي الربع الأخير من القرن السادس أطلق أيضًا على أسقف الكرسي الروماني.[٤]

ويعتقد المسيحيون أن المسيح أقام بطرس خليفة له ليرأس الحواريين وقد أنشأ بطرس كنيسة روما، والبابا خليفة بطرس في رياسة الكنيسة وإدارة شؤون المسيحيين، فالبابا وفقًا للعقائد المسيحية خليفة للمسيح والكرادلة خلفاء للرسل والحواريين. [٥]

ثالثاً: المجمع الفاتيكاني الأول (١٨٦٩-١٨٧٠م) ويعرف بمجمع روما، ويعتبره الروم الكاثوليك المجمع المسكوني العشرين، دعا إليه البابا بيوس التاسع[٦] لوضع حد للأضاليل التي انتشرت منذ قيام الثورة الفرنسية، ولمواجهة العصر

---

[٣] دائرة المعارف الكتابية، صموئيل حبيب وآخرون، ١٥/١.

[٤] ينظر: معجم الإيمان المسيحي، الاب صبحي اليسوعي، ص٩١، ٩٢، معجم الأديان، جون هينلكس ص ٥٢٦، قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مجموعة من المؤلفين، ص١١٥، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٣٥.

[٥] ينظر المسيحية، أحمد شلبي، ص ٢٥٣، المسيحية النصرانية ساجد أمير، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ص ٣٣٧

[٦] بيوس التاسع ١٨٤٦- ١٨٧٨م في عهده تمت الوحدة الإيطالية ففقد الكرسي الروماني ممتلكاته، وانعزل في الفاتيكان وكذلك خلفاؤه من بعده، أعلن عقيدتي الحبل بلادنس في ١٨٥٤م، والعصمة البابوية في المجمع الفاتيكاني الأول ١٨٧٠م. ينظر: قاموس الأديان ص ١٦٧

الحديث وعلومه والاكتشافات العلمية والتاريخية التي تقطع بعدم مصداقية الكتاب المقدس من الناحية العلمية والتاريخية، وأصدر بيوس التاسع دستورًا عنوانه (في الإيمان الكاثوليكي)، وحدد عصمة البابا عن الخطأ في التحديدات الإيمانية الرسمية، وسعى البابا لإيجاد الأغلبية الكافية لإصدار قرار العصمة، شارك في المجمع أكثر من ٧٠٠ أسقف ولم يستطع هذا المجمع إنجاز أعماله بسبب الحرب وذلك حين استولت مملكة إيطاليا على روما وضمتها إليها. [٧]

ومن نتائج هذا المجمع ظهور انقسامات في الطائفة الكاثوليكية ببلاد أوروبا وبالمشرق ،والذين خالفوا هذه العقيدة كانوا من أهالي أوروبا وسموا ذواتهم بالكاثوليكيين القدماء[٨].

رابعاً: المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥) دعا إليه البابا يوحنا الثالث والعشرون، وهو ختام المجامع النصرانية، ويعتبره الرومان الكاثوليك المجمع المسكوني الحادي والعشرين، وكان الهدف من هذا المجمع حل بعض قضايا الكنيسة ومنها الانفتاح على العالم وعلى سائر الأديان، وحضره نحو أربعمائة وألفين أسقفًا، إلى جانب ممثلي الكنائس والطوائف غير الكاثوليكية وقد مر بأربع دورات الأولى كانت في سنة ١٩٦٢م وكان موضوعها بعض المشاريع العقائدية، والثانية كانت في سنة ١٩٦٣م وفيها توفي البابا يوحنا الثالث والعشرون وخلفه البابا بولس السادس، والثالثة كانت في سنة ١٩٦٤م وعملت على ستة عشر موضوعًا، والرابعة كانت سنة ١٩٦٥م، وقد اختتمت أعمال هذا المجمع في العام نفسه.

كانت فكرة المجمع الأساسية تتمركز حول الإصلاحات الداخلية للكنيسة ومواجهة أزماتها مع العالم والتي تسببت في انحسار نفوذها لذا فقد اهتم هذا المجمع ب(تحديث) الكنيسة الكاثوليكية فأصدر عددًا من الدساتير والمراسيم والقرارات والبيانات والتصريحات، وهذا المجمع يكمل مالم يستطع المجمع الفاتيكاني الأول أن ينجزه، ولاسيما ما يختص بجماعية الأسقفية، وخصص المجمع جزءًا كبيرًا من نشاطه حول علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية.

---

[٧] ينظر: معجم الإيمان المسيحي ص ٣٤٩، قاموس الأديان ص ٣٧٥، قاموس الأديان الثلاث ص ٧٨١، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، محمد علي البار، ص ٤٧٠.

[٨] سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، نوفل بن نعمة الله الطرابلسي، ص ١٥٤

ومن قرارات هذا المجمع التأكيد على عصمة البابا المطلقة وأن المسيح وضع لخدمة الكنيسة خداماً يتمتعون بالسلطة المقدسة وأنهم استحقوا الكرامات الإلهية. [٩]

خامساً: الكوريا الرومانية curia roman

الكوريا هي مجموعة المكاتب التي يستخدمها البابا لتنفيذ مهامه القضائية والتشريعية والتنفيذية كرئيس للكنيسة، وعلى الرغم من وجوده إلا أنه لا يتصرف إلا بقدر ما يرغب فيه، و صلاحياته المحددة منصوص عليها في قانون القانون الكنسي والوثائق اللاحقة للقانون ، علاوة على ذلك فقد اتخذت بقوة التقليد والممارسة موقعًا قويًا في عمليات الكنيسة اليومية، والكوريا هي البلاط البابوي أو الإدارة البابوية للفاتيكان [١٠]

[٩] ينظر: معجم الإيمان المسيحي ٣٤٩، قاموس الأديان ص ٣٧٥، قاموس الأديان الكبرى الثلاث ص٧٨٣، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ص ١٣٦، المجمع الفاتيكاني الثاني، عايض الدوسري ص ٣٣-٣٥، ٥٦، أثر المجامع الكنسية في تحريف العقيدة المسيحية، هيا سليم المعاويد، رسالة ماجستير ص ١٥٧، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص ٤٧٢.

[١٠] New catholic encyclopedia vol 4 page 438، وانظر: قاموس الأديان الكبرى الثلاث (انجليزي – عربي) نور الدين خليل، ص ١٥٣

المبحث الأول

التعريف بالعصمة البابوية وتطورها التاريخي

يعتقد الكاثوليك بأن تعاليم الكنيسة معصومة من الخطأ، وأن هذه التعاليم المعصومة تنبع من إجماع الأساقفة على تعليم معين والذي يظهر في إطار مجمع مسكوني، وإلى جانب هذا الاعتقاد يعتقد الكاثوليك بعصمة البابا حين يعلم رسميًا كرئيس للكنيسة جمعاء في قضايا العقيدة والأخلاق، وعصمة التعليم والبابا تعني عندهم نفي قيادة المؤمنين إلى الضلال. (١١)

إذن فالعصمة عند الكاثوليك ليست مختصة بالبابا؛ بل هناك عصمة الكنيسة، يقول مؤلف اللاهوت المعاصر: "من هو المعصوم في الكنيسة؟ إن أول ما يتبادر إلى أذهان المسيحيين -لاسيما الكاثوليك منهم - لدى طرح هذا السؤال هو عصمة أسقف روما التي حددها المجمع الفاتيكاني الأول سنة ١٨٧٠م وعاد فأكدها المجمع الفاتيكاني الثاني سنة ١٩٦٤م، لكن عصمة أسقف رومه يجب ألا تفصل عن عصمة سائر الأساقفة وعن عصمة الشعب المسيحي بمجمله، وهذا ما أكده المجمع الفاتيكاني الأول بقوله: إن أسقف رومه في بعض الظروف الخاصة التي سنحددها يملك تلك العصمة التي شاء الفادي أن يمد بها كنيسته".(١٢)

فالعصمة في الكاثوليكية تخص كل من له سلطان كامل تجاه الكنيسة وهم مجموع الأساقفة في الكنيسة مع البابا عندما يعلنون بصورة جماعية عقيدة كوحي من الله، والمجمع المسكوني مع البابا، والبابا وحده كمعلم الكنيسة الأكبر عندما يستعمل سلطته في تقرير عقائدية شيء ما، وليس معصومًا في مواقفه الشخصية ولا في آرائه الخاصة.(١٣)

---

(١١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر وهونرمان ١١/١

(١٢) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ٢٥٣/٢

(١٣) ينظر: معجم اللاهوت الكاثوليكي، كارل راهنر، هربرت فورغريملر، ص ٢١١

المطلب الأول: تعريف العصمة البابوية.

أما العصمة البابوية (infallibility) في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فهو مبدأ عرفه مجلس الفاتيكان الأول في سنة ١٨٧٠م مؤداه أن البابا معصوم من الخطأ عندما يتحدث بحكم سلطته.[١٤]

وجاء في الموسوعة البريطانية : العصمة البابوية في اللاهوت الكاثوليكي الروماني، العقيدة القائلة بأن البابا بصفته معلمًا أعلى وفي ظل ظروف معينة لا يمكن أن يخطئ عندما يعلم في أمور الإيمان أو الأخلاق.

وتستند عقيدة عصمة الكنيسة إلى الاعتقاد بأن الكنيسة قد عهد إليها بمهمة إيصال تعاليم يسوع المسيح وأنه في ضوء تفويضها من المسيح ستظل مخلصة لهذا التعليم من خلال مساعدة الروح القدس، وعلى هذا النحو ترتبط العقيدة بمفهوم عدم قابلية الخطيئة، أو العقيدة التي تقول إن النعمة الموعودة للكنيسة تضمن ثباتها حتى نهاية الزمان، ونادراً ما كان مصطلح العصمة يذكر في الكنيسة المبكرة والعصور الوسطى. [١٥]

إذن فالعصمة امتياز صادر عن سلطة عليا يحرر من الولاية المختصة بحكم الحق العام وعصمة الرهبان في الكنيسة الكاثوليكية، امتياز يحرر بعض أديرة المتوحدين أو بعض المؤسسات الرهبانية بقدر يختلف باختلاف الحالات من ولاية الأسقف المحلي ليخضعها مباشرة لسلطة البابا بواسطة كبار رؤسائها.

---

[١٤] قاموس الأديان الكبرى الثلاث، نور الدين خليل، ص ٣٦٨

[١٥] ينظر: https://www.britannica.com/topic/papal-infallibility.

وفي الكنيسة الكاثولوكية يحفظ أسقف روما(البابا) بصفته مسؤولًا عن خدمة المشاركة بين جميع الكنائس من كل ضلال بفضل عون الروح القدس حين يعلن بعمل نهائي تعليمًا يختص بالإيمان أو الأخلاق ويلزم جميع الكنائس معًا لتبقى شهادتها واحدة.[١٦]

قرارات العصمة في مجمعي الفاتيكان الأول والثاني:

جاء في أحد قرارات المجمع الفاتيكاني الأول النص على العصمة البابوية وفيه: "أن الحبر الروماني عندما يتكلم رسميًا من على المنبر أي عندما يحدد وهو يقوم بمهمته كراع ومعلم لجميع المسيحيين بسلطانه الرسولي الأسمى فإن من واجب الكنيسة جمعاء التمسك بعقيدته في موضوع الإيمان أو الأخلاق فهو يتمتع بفعل العون الإلهي الذي وعد به في شخص القديس بطرس بتلك العصمة التي أراد الفادي الإلهي أن تكون للكنيسة عندما تحدد عقيدة في الإيمان والأخلاق، وبالتالي تكون تحديدات الحبر الروماني هذه غير قابلة للإصلاح بذاتها وليس بفعل موافقة الكنيسة"[١٧]

وجاء في قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني: " إن هذه العصمة التي شاء الفادي الإلهي أن يمد بها كنيسته لكي تحدد التعليم المتعلق بشؤون الإيمان والآداب، إنما تتسع اتساع مستودع الوحي الإلهي بالذات الذي يجب الحفاظ عليه بقداسة وعرضه بأمانة، وهذه العصمة يتمتع بها الحبر الروماني رئيس هيئة الأساقفة بحكم مهمته بالذات بصفته راعيًا ومعلمًا أعلى لجميع المؤمنين المسيحيين ومكلفًا تثبيت إخوانه في الإيمان " [١٨]

شروط العصمة وحدودها:

من خلال نص قرار العصمة البابوية الذي أصدره المجمع الفاتيكاني الأول، وأكّده المجمع الفاتيكاني الثاني تحددت العصمة ولكن بشروط وهي:

---

[١٦] معجم الإيمان المسيحي، الأب صبحي حموي اليسوعي، ص ٣٢٨

[١٧] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ٢/٦٥١.

[١٨] اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ٢/ ٢٥٧

١/ أن يكون ذلك في حالة كلامه (أي البابا) باعتباره المعلم الأعلى للكنائس في العالم كله، بخلاف تعاليمه الفردية أو السرية، أو إذا تكلم في حدود سلطة منصبه رئيسًا لأساقفة روما.

٢/ أن ينوي بالكلام تحديد تعليم أو عقيدة ما بمعنى أنه يجب عليه طلب موافقة نهائية من أعضاء الكنيسة لذلك، وأما مجرد نصيحة أو أي قرار مؤقت للتأديب فلا.

٣/ أن تكون تحديداته المعصومة هذه في إطار الإيمان والأخلاق فقط.

٤/ أن ينوي -بشكل واضح- فرض التزام عقدي على الكنيسة عن بكرة أبيها.[١٩]

التأصيل الكاثوليكي للعصمة:

لكل طائفة من طوائف النصارى قراءة خاصة بها لنصوص الكتاب المقدس وفهم خاص بها أيضًا مما شكل قراءات متعددة لتلك النصوص سواء في باب العصمة أم غيرها.

ويستند الكاثوليك في تأصيلهم للعصمة إلى بعض النصوص العامة في بعض الأناجيل والتي لم تنص على كلمة العصمة وإنما استنبطوا منها فكرة العصمة البابوية والتي جاءت بعد تاريخ طويل من ترسيخ مبدأ أولوية الأسقف الروماني (البابوية)، تلك الفكرة التي جاءت بدعم من أباطرة الرومان.

وقد استند النصارى في تأصيلهم وإثباتهم للعصمة البابوية على حجتين رئيسيتين جاء ذكرهما في الدائرة الكاثوليكية وهما:

١/ أن البابا رئيس الكنائس جمعاء وأب روحي ومعلم لكل نصراني أينما كان.

٢/ أن البابا خليفة المسيح أو نائبه على وجه الأرض.[٢٠]

---

[١٩] ينظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ٢/ ٢٥٨، مصادر النصرانية ص ٩٢١.

[٢٠] الدائرة الكاثوليكية الجديدة New catholic encyclopedia vol 7 page 497

وساقوا من أجل إثبات ذلك عددًا من النصوص التي يرون دلالتها على عصمة البابوات ومن هذه النصوص:

ما جاء في إنجيل متى: "وأنا أقول لك أيضًا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولًا في السموات"(٢١)

وفي إنجيل يوحنا "فبعدما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس: ياسمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء، قال له : نعم يارب أنت تعلم أني أحبك، قال له: ارع خرافي. ."(٢٢)

وفي إنجيل لوقا: "ولكني دعوت لك ألا تفقد الإيمان، وأنت ثبت أخوتك متى رجعت "(٢٣)

ووجه استدلالهم بهذه النصوص على العصمة:

أنه من غير المعقول أن المسيح قد قصد أن هذه الميزات كلها تموت بموت بطرس، بل تمتد لخلفائه بعده؛ حيث إن الحاجة إليها تنمو مع مرور الزمن والوقت، ومع الزيادة في ابتعاد الإيمان المسيحي عن غاياته وأهدافه.(٢٤)

واستدلال الكاثوليك بهذه النصوص ليس مسلمًا به عند بقية الطوائف النصرانية فلهم ردود وتعقيبات على قراءة الكاثوليك لهذه النصوص منها ما يتعلق بنصوص الكتاب المقدس والتي يرون أن الخطاب فيها موجهًا إلى كل التلاميذ بالتساوي دون تمييز واحد عن الآخر كما في لوقا ١/٩، متى ١٨/١٦ ويوحنا ٢٣/٢٠.(٢٥)

---

(٢١) متى ١٨/١٦-١٩

(٢٢) انجيل يوحنا ٢١-١٥-١٧

(٢٣) انجيل لوقا ٣٣/٢٢

(٢٤) مصادر النصرانية ص ٩٢٤.

(٢٥) العصمة والأولية البابوية في المسيحية، حسن قرواشي، بحث منشور، ص ٦٣٦

ومنها ما يتعلق بشخصية بطرس كما تظهرها الأناجيل حيث تظهر أنه مثل غيره من التلاميذ، بل جاء ذكره على أنه تلميذ قاس معارض للمسيح وضعيف الإيمان وأن المسيح سماه شيطانًا [٢٦]، ومنها ماله علاقة بتاريخ البابوية وما فيه من أخطاء وممارسات لا تدل على عصمتهم. [٢٧]

ومن جهة أخرى فإن تلك النصوص التي احتج بها الكاثوليك ليست هي المستند الوحيد عندهم لإثبات العصمة؛ بل هناك قرارات المجامع والتي يعتقد الكاثوليك بعصمتها أيضًا "ولئن كان الاختلاف في تحليل العصمة يعود إلى اختلاف في اختيار الحلول التي تتضمنها النصوص الدينية على الأقل في مستوى قراءة النص بقطع النظر عن الدوافع السياسية والمصلحية ؛فإن اللاهوتيين قد استندوا في إقرار الأولوية أو إلغائها على القرارات المجمعية، وفي هذا السياق التاريخي الذي حددت فيه وهذا السياق هو الذي يعطيها دلالتها الحقيقية ويخرجها بذلك من حيز النص وسلطته إلى حيز السياق التاريخي الذي يصبح بدوره موجها للدلالة ومحددًا لها، وبالفعل فإن النقاش في هذه المسألة أصبح متعلقًا بصحة نصوص القرارات وقانونيتها وبحقيقة المجامع تاريخيًا بل لم يعد مركزًا على أولية بطرس وتقدمه على بقية الرسل " [٢٨]

والمتأمل في أحداث معظم المجامع النصرانية التي عقدت وظروفها وملابساتها، يجد أن اختلاف النصارى في تفاسير وشروح كتابهم – لاسيما الأناجيل التي عولوا عليها – أوجب صيرورة دينهم عرضة لآراء البشر ومجادلاتهم، كما كان ذلك أيضا سببًا لظهور البدع بأنواعها المختلفة ثم كان ظهور هذه البدع سببًا لانعقاد المجامع فأصبحت تعاليم وقرارات تلكم المجامع فيما بعد سببًا لانقسام الكنيسة. [٢٩]

---

[٢٦] ينظر: إنجيل متى ١٦:٢٣

[٢٧] للاطلاع على المزيد من الردود حول العصمة انظر: نحن وروما والفاتيكان، أسد رستم، ١٩٥٩م، ص ٧٢ وما بعدها، مصادر النصرانية، الآرو، ص ٩٢٥ومابعدها، العصمة والأولية البابوية في المسيحية، حسن قرواشي ص ٦٣٥، الجدل عند النصارى، جعفر كايد، ص ٢٥٣- ٢٦٠.

[٢٨] العصمة والأولية البابوية، القرواشي، ص ٦٤٢

[٢٩] ينظر: مصادر النصرانية ص٧١٠

ومع أن تلك المجامع عقدت لمواجهة البدع (الهرطقات) إلا أنها لم تسلم من إقرار وترسيخ بدع أخرى وهذا ما حدث في موضوع العصمة البابوية، وقد أشار شيخ الإسلام إلى الغرض من هذه المجامع بقوله "وصار من يطلب أن يقول فيه القول العدل مثل كثير من علمائهم وعبادهم، يجمعون له مجمعًا ويلعنونه فيه على وجه التعصب واتباع الهوى والغلو فيمن يعظمونه"[٣٠]

[٣٠] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية ١٧٨/٣

المطلب الثاني: التطور التاريخي لعقيدة العصمة البابوية

إن الحديث عن العصمة البابوية مرتبط بالبابوية من حيث نشأتها وتطورها التاريخي، وفيما يلي عرض موجز لتاريخ البابوية:

لقد منح البابا السلطة من قبل المجامع كمجمع رومة ٨٦٩ م، الذي جعل الفصل في المسائل الدينية من اختصاص الكنيسة التي تخضع لقرارات رئيسها، ومجمع رومة ١٢١٥ م الذي قرر أحقية الكنيسة بمنح صكوك الغفران، كما منح البابا السلطة نتيجة بعض الظروف المتعلقة بالانقسام السياسي في الدولة الرومانية فما كان من البابا إلا أن استقل عن السلطة السياسية ولم يصبح تابعًا لأحد من ملوك وأباطرة الرومان، وأصبح تعيينه من قبل المجامع، لا الأباطرة وقد أدى ذلك إلى تقوية سلطة البابا.

وقد مر تاريخ البابوية بعدة مراحل يمكن إجمالها فيما يلي:

مرحلة التأسيس والتكوين: فالكاثوليك يرون أن البابوية تأسست على يد بطرس الذي أقامه الرب مقامه ومنحه سلطته، ويستندون في ذلك إلى ما جاء في إنجيل متى: (وأنا أقول لك أيضًا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولًا في السموات) [٣١]

مرحلة القوة والزعامة في العالم الغربي: وقد بدأت هذه المرحلة عند إعلان قسطنطين الأول (٢٧٢م _٣٣٧م) رفع الاضطهاد عن النصارى ، ودخوله في النصرانية، عندها انتقلت النصرانية من مرحلة الضعف والاضطهاد وأصبحت تحت حماية الإمبراطورية الرومانية، وكانت الكنائس الرئيسية (روما وأنطاكية والإسكندرية) حينها على قدم المساواة فلم يكن لأحدها تقدم أو ميزة عن الأخرى، إلا أن انتقال عاصمة الإمبراطورية إلى القسطنطينية بعد

[٣١] متى ١٦:١٨

ذلك وما أحدثه من فراغ سياسي كان له أثر في صعود البابوية في العالم الغربي وتزعمها وتشكل النظرية البابوية في كنيسة روما، وما تلا ذلك من أعمال قام بها البابوات كان لها الأثر الكبير في ترسيخ الزعامة البابوية .[٣٢]

مرحلة الضعف والانحسار: وكان ذلك في القرن الرابع عشر الميلادي ، وتسمى هذه المرحلة بمرحلة انحلال البابوية ، وقد تظافرت عدة أسباب لضعف السلطة البابوية منها صراع البابوات والإمبراطورية الرومانية على السلطة فكانت البابوية تسعى للسلطة المطلقة بينما تسعى الإمبراطورية إلى تحجيم دور البابوية وجعله مقتصرًا على النواحي الروحية، ومع مرور الوقت واشتداد الصراع بين السلطتين فقدت الكنيسة والبابوية هيبتها وخاصة عند انقسام البابوات وانتقال البابوية إلى أفنيون في فرنسا، أو ما يعرف ب (السبي البابوي)، ومن الأسباب فساد البابوات وانغماسهم في الشهوات مما أشعل نار العداوة تجاه الكنيسة .[٣٣]

البابوية في العصر الحديث: يعتبر البابا في هذه المرحلة رئيس السلطة العليا للكنيسة الكاثوليكية، ويدير جميع شؤونها ويساعده في ذلك الكرادلة الذين ينتخب البابا منهم، ومكان إقامتهم الفاتيكان، ويقوم بإدارة الكنيسة في الوقت الحاضر أحد عشر مجمعًا لكل مجمع كاردينال يرأسه باستثناء ثلاثة مجامع يرأسها البابا نفسه. [٣٤]

أما عن العصمة فلم تكن عقيدة عصمة البابوات حاضرة في الفكر الكاثوليكي القديم وكل ما هنالك هو وجود وثائق بابوية قديمة قدمت الكرسي الروماني. ..واشتد تعظيم الكاثوليك لهذه الأولوية إلى أن تحولت إلى سلطان مقدس للأسقف الجالس على ذلك الكرسي أسقف روما أو بابا الكاثوليك وفي مقدمة هذا السلطان المقدس العصمة البابوية [٣٥]

---

[٣٢] ينظر: عشرون قرناً في موكب التاريخ، حبيب سعيد، ص ٤٧ ومابعدها، البابوية عند النصرانية، موسى الشيخي، ص ٢٥ وما بعدها

[٣٣] ينظر: عشرون قرنا في موكب التاريخ، حبيب سعيد، ص ١٦١ ومابعدها، البابوية عند النصرانية، موسى الشيخي، ص ٢٥ وما بعدها

[٣٤] ينظر: البابوية عند النصرانية، موسى الشيخي، ص ٢٥ وما بعدها

[٣٥] ينظر: الطائفة الكاثوليكية وأثرها على العالم الإسلامي ١٢٥-١٢٧

وقد حظي البابوات في مرحلة القوة والزعامة بالدعم المطلق من قبل أباطرة الرومان للبابوية في مقابل دعم البابوات لأباطرة الرومان، وهذا الدعم كان له أثر سلبي من حيث تأثر المسيحية بالوثنية الرومانية ، ومن ذلك تقديس الرومان للأباطرة ، ومن هنا تسربت فكرة كون الأسقف الروماني هو الأسمى وله السيادة، وأنه معصوم "فترومت النصارى – في هذا الباب – ولم تتنصر الرومان"[٣٦].

ويعتقد بابوات روما أنهم خلفاء لبطرس حيث تذكر التقاليد المسيحية أن بطرس – تلميذ المسيح – هو مؤسس الكنيسة الرومانية وأنه أول من جاء بالمسيحية إلى روما ولقي بها من الأذى ما لقي في سبيل المسيحية حتى قتل مصلوبًا، كم تذكر التقاليد المسيحية أيضًا أن بولس له نصيب كبير في تأسيس كنيسة روما. [٣٧]

ويبرر بعض المؤرخين ومنهم ويل ديورانت أن إضفاء القداسة والعصمة على الكنيسة ورجال الدين يرجع إلى أن الدين المسيحي " يعرض على الناس الإيمان لا المعرفة، والفن لا العلم، والجمال لا الحقيقة، وقد فضله الناس في صورته هذه، وكانوا يرون أن ليس فيهم من يستطيع أن يجيب على أسئلتهم، ولهذا كانوا يشعرون بأن من الحزم أن يؤمنوا بالأجوبة التي ينطق بها رجال الدين، ويؤكدوها توكيدًا يزيل مخاوفهم، ولو أن الكنيسة اعترفت بأنها تخطيء تارة وتصيب تارة أخرى لفقدوا ثقتهم فيها " [٣٨]

وقد درج في الكنيسة الغربية منذ القرن الرابع عشر استعمال لفظ (العصمة) أي أن الكنيسة معصومة عن الخطأ والضلال في كل ما تعلمه من عقائد الإيمان والحياة المسيحية، واستمر الأمر على ذلك إلى أن جاء القرن التاسع عشر والذي أقر فيه المجمع الفاتيكاني بأولية البابا وعصمته. [٣٩]

---

[٣٦] هذه المقولة ذكرها القاضي عبد الجبار المعتزلي في تثبيت دلائل النبوة ١/١٧٣.

[٣٧] البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، أحمد عجيبة، ص١٣

[٣٨] قصة الحضارة، ويليام ديورانت ١٢/١٦

[٣٩] انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر٢/٢٥٣، معجم الأديان، ميرسيا إلياد، يوان ب.كوليانو، ص ٣٢٠

وفي القرن التاسع عشر أراد المتشددون من الكاثوليك استعادة الكنيسة لنفوذها وامتيازاتها في مقابل الكاثوليك الليبراليين الذين طالبوا بإتاحة الحرية للجميع، فكان الكثير من الكاثوليك يودون أن تحدد عصمة البابا عن الخطأ، وقد اعتبر البابا بيوس التاسع أن كل شيء في العالم الحديث يحارب الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فما كان منه إلا أن أعلن عقيدة الحبل بلا دنس[٤٠] سنة ١٨٥٤م، فعل ذلك ليؤكد بطريقة غير مباشرة عصمته عن الخطأ، وتحت ضغط عدد من الأساقفة اتخذ البابا بيوس التاسع موقفًا ضد أضاليل عصره وشجب تجاوزات العقلانية والاشتراكية والليبرالية، وقد ابتهج الكاثوليك المتشددون بذلك، وفي ظل هذه الأجواء المتوترة قرر بيوس التاسع أن يدعو إلى انعقاد المجمع الفاتيكاني الأول.

وبالرغم من أن عصمة البابا لم ترد رسميًا في المشروع المتعلق بالكنيسة ضمن أعمال المجمع الفاتيكاني الأول، إلا أن أكثرية الأساقفة طلبوا أن تدرج في النقاش، في حين أن الأقلية عارضت ذلك وكان من بين الأقلية أساقفة ألمان وفرنسيون وقد غادروا قاعة المجمع لئلا يشككوا الكاثوليك، وصوّت الباقون على الوثيقة المتضمنة رئاسة البابا وعصمته عن الخطأ.[٤١]

وكانت الكنيسة الرومانية –قبل ذلك– قد مرّت بفترة من الهدوء وكانت سلطتها مستتبة، إلا أنه بعد إصدار قرار المجمع الفاتيكاني الأول لعصمة البابا نشأ انقسام جديد في الكنيسة الكاثوليكية نفسها حيث عارض القرار بعض أهالي أوروبا –لاسيما ألمانيا – من النصارى الكاثوليكيين فانشقوا عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وسموا أنفسهم بالكاثوليكيين القدماء (old catholics) وهو اسم أطلق على الذين رفضوا تحديد عصمة البابا عن الخطأ في

---

[٤٠] الحبل بلا دنس: هو الحبل بمريم العذراء بدون وصمة الخطيئة الأصلية وهي عقيدة تعترف بها بعض الكنائس وأعلنها رسميًا في الغرب البابا بيوس التاسع في ١٨٥٤م. قاموس الأديان ص٢٢٧.

[٤١] ينظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص ٣١١-٣١٣، تاريخ الفكر المسيحي، جوناثان هيل ص ٢٧٠

١٨٧٠م، وكانوا يتجهون إلى العودة إلى مسيحية العصور الوسطى، ولم يعترفوا بسلطة غير سلطة القوانين الكنسية للمجامع المسكونية السبعة الأولى. (٤٢)

وقد قاموا بتأسيس مجموعة من الكنائس الوطنية الغربية الصغيرة التي تتألف من المسيحيين الذين يعتقدون أنهم يحافظون بكامل الإخلاص على عقيدة وتقاليد الكنيسة غير المقسمة والذين انفصلوا عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ومنها: الكنائس الكاثوليكية الألمانية والنمساوية والسويسرية القديمة والتي تشكلت من الرافضين لعقيدة العصمة البابوية والولاية العامة للبابا على النحو الذي تحدد في مجمع الفاتيكان الأول سنة ١٨٧٠م وانشقت عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بعد ذلك مباشرة. (٤٣)

وهناك من يركز على الخلافات الفكرية ودورها في إرساء عقيدة العصمة البابوية يقول أحد الكتاب " فإن العصمة – وفقا لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية – هي امتياز شخصي للبابا، من وجهة نظر الإكليروس الآخرين الذين لم يتبوءوا العرش البابوي، وينظر إليها باعتبار المسيح هو في الأساس الذي منح البابا منصبه (وكنيسته)، ولما كانت المسيحية قد تطورت وانتشرت في بلاد العالم، فقد عمدت عقول كثيرة، وأشخاص ذوو أمزجة متباينة لتفسير تعاليم المسيح تفسيرًا جديدًا، فكان لابد من ظهور اختلافات.. فكان لابد من وجود نوع من السيطرة التي تمثل سلطة دائمة للإرشاد لتحفظ الحقيقة الإيمانية لكل الأجيال. "(٤٤)

---

(٤٢) ينظر: مصادر النصرانية الارو ص ٨٤٨ نقلا عن دائرة المعارف البريطانية ٦١١/١٨و٤٤/١٩ والأمريكية ٦٨٦/٢٢، الهرطقة في المسيحية، ج. ويتلر، ص ٢٨٤، معجم الإيمان المسيحي ص ٣٩٠

(٤٣) ينظر: قاموس الأديان الكبرى الثلاث ص ٥٤٣

(٤٤) موسوعة الأديان الحية، ر.س.زينر، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ ، ١/ ٣٠٨-٣١٠

المبحث الثاني

التعريف بهانس كونغ ١٩٢٨م – ٢٠٢١م

المطلب الأول: حياته ومكانته العلمية والدينية

فيلسوف وعالم لاهوت سويسري كاثوليكي، ولد في بلدة سورزيه في سويسرا في عام ١٩٢٨م، ودرس اللاهوت والفلسفة في الجامعة البابوية الغريغورية في روما عام ١٩٥٤م حيث نصّب قسًا، وأصبح أستاذًا في جامعة توبنغن في ألمانيا، ومديرًا لمعهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحية فيها، حيث كان معه هناك جوزيف راتزينغر (البابا بنديكتيوس السادس عشر) وفي عام ١٩٦٥م درّس العقائد في الجامعة، وأصبحت له سمعة كبيرة بعد ثورة الطلاب في توبنغن عام ١٩٦٨م، وكان مختلفًا مع راتزينغر، وكان مستشارًا في المجمع الفاتيكاني الثاني، ثم التحق بجامعة السوربون بباريس ودرس بالمعهد الكاثوليكي وحصل على الدكتوراه ١٩٥٧م، وفي عام ١٩٦٧م ناقش أطروحته عن لاهوت كارل بارت البروتستانتي، وعمل بعد ذلك أبًا روحيًا بالكنيسة المركزية في بلدة لوزان بسويسرا، وفي عام ١٩٦٠ م عيّن أستاذًا بجامعة توبنغن لمادة أصول الدين المسيحي، وبعد عامين عينه البابا يوحنا الثالث والعشرون مستشارًا رسميًا بمجلس الكنيسة الأعلى، كما عمل بعد المجمع الفاتيكاني الثاني كعميد لكلية اللاهوت بجامعة توبنغن.

نشر دراسات وبحوثًا كثيرة حول الكنيسة الكاثوليكية، واللاهوت الكاثوليكي وتعاليمه، ورجال الدين، وحول مشكلات معاصرة مثل: العزوبة والإجهاض ومنع الحمل، وأدت بعض كتبه وبحوثه إلى نزاعات مع الفاتيكان، لاسيما كتابه عن عصمة البابوية، الذي انتقد فيه عمل البابا، وهو ما جعل مؤتمر الأساقفة الألمان يهدّده ١٩٦٩م بحرمانه من تدريس اللاهوت الكاثوليكي.

ترك التدريس عام ١٩٨٠م إلا أنه بقي يدرس في معهد البحوث المسكونية، التابع لجامعة توبنغن ، وبالرغم من مخالفته لصديقه القديم وزميله البابا بنديكتيوس السادس عشر إلا أنه استقبله في عام ٢٠٠٥م وأثنى على دوره الكبير في الحوار بين الأديان.

وكان كونغ قد شغل منصب رئيس مؤسسة الأخلاق العالمية، وعلى الرغم من أنه منع رسميًا من تدريس اللاهوت الكاثوليكي، إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة دراسته وبحوثه في هذا الحقل بروح علمية جعلته من أكثر الباحثين شهرة في هذا المجال.[٤٥]

توفي عام ٢٠٢١م وعمره ٩٣عامًا.

إسلامه: ذكر بعض الباحثين أن هانس كونغ أسلم بعد أن أجرى بعض الدراسات والمقارنات، واستندوا إلى تصريحات هانس بأن الإسلام دين سماوي وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول تلقى الوحي من الله وخاصة في كتابه (المسيحية وأديان العالم)[٤٦]

ولا شك أن هذا التصريح بإسلامه يفتقر إلى إثبات ودليل حيث إن هانس كونغ استمر في اعتناقه المسيحية ولم يصرح بدخوله الإسلام، كما أن المحيطين به من الكاثوليك أنفسهم لم يذكروا ذلك.

كما أنه لا يمكن الحكم على إسلامه من خلال تصريحاته المنصفة حول الإسلام؛ بل إن له مؤلفات تنم عن تمسكه بالمسيحية، كما أنه لم يظهر في القنوات الإعلامية المسيحية ما يؤكد ذلك ؛ بل وله لقاءات مسجلة قبيل وفاته لا يظهر فيها ذلك.

---

[٤٥] علم الأديان خزعل الماجدي ص ٣٥٥-٣٥٩، وانظر المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار ، الشاهد ، ص ٣١

[٤٦] جاء ذلك في كتاب عظماء أسلموا، راغب السرجاني، ص ٧٨

ومن خلال التتبع للندوات والمحاضرات التي تكلمت عنه والتي أعقبت وفاته ومنها ندوة بعنوان الاحتفال بحياة وتراث هانس كونغ، ظهر فيها عدد من اللاهوتيين الذين يعملون في جامعة توبنغن – التي كان هانس يعمل بها – ولم يشر أحد منهم إلى إسلامه. (٤٧)

مؤلفاته: ألف هانس كونغ عددًا من المؤلفات والتي في أغلبها حول المسيحية وما يتعلق بها من قضايا ومنها: الكنيسة والكهنة وعصمة البابوات والكاثوليكية، وفي مقارنة الأديان تناول الأديان العالمية كالإسلام واليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية والديانات الصينية، ويظهر من خلال تتبع أرقام الطبعات أن له في كل عام مؤلفًا على الأقل –كما سيظهر عند ذكر مؤلفاته–، ومن اللافت للنظر أيضًا أنه في فترة الستينات والسبعينات – عندما كان قسًا – كانت مؤلفاته حول الكنيسة وقضاياها أي قضايا اللاهوت المسيحي، ثم اتجه في فترة الثمانينات والتسعينات وما بعد الألفية إلى التأليف في الديانات والأخلاق وغير ذلك، وفيما يلي عرض لمؤلفاته بحسب الترتيب الزمني لطباعتها:

- (المجلس وعودة الاتحاد) ١٩٦٠م.

-(هياكل الكنيسة) ١٩٦٢م

-(الكنيسة الحية: تأملات في المجتمع الفاتيكاني الثاني) ١٩٦٣م.

-(تطبيق العدالة: مذهب كارل بارت والانعكاسات الكاثوليكية) ١٩٦٤م.

-(الكنيسة) ١٩٦٤م

-(تجسد الله: مقدمة لفكرة هيغل اللاهوتية ومقدمات لعلم المسيحية في المستقبل) ١٩٧٠م وترجم للإنجليزية عام ١٩٨٧م.

(٤٧) ينظر: https://youtu.be/0HDYtNiCEbY?si=qg9AJhK9yB4Y8ToY

-(معصوم؟ هذا التحقيق) ١٩٧١م

-(لماذا الكهنة؟) ١٩٧١م

-(ما الذي يجب أن يبقى في الكنيسة ؟) ١٩٧٣م

-(أن تكون مسيحيًا) ١٩٧٤م، أو (هوية المسيحي)

-(هل نؤمن بالله اليوم أيضًا ؟) ١٩٧٧م وأصله محاضرة ألقاها في جامعة توبنغن.

-(معالم للمستقبل: القضايا المعاصرة التي تواجه الكنيسة) ١٩٧٨م

-(فرويد ومشكلة الله) ترجمه للإنجليزية إدوارد كوين ١٩٧٩م

-(هل الله موجود؟ جواب اليوم) ١٩٨٠م

-(الفن وسؤال المعنى) ١٩٨٠م

-(المسيحية وأديان العالم: مسارات للحوار مع الإسلام والهندوسية والبوذية) ١٩٨٤م.

-(الثيولوجيا في مرحلة الظهور) ١٩٨٧م

-(مسيرة اللاهوت سيرة روحية)[٤٨] ١٩٨٧

-(المسيحية والديانات الصينية) مع جوليا تشينغ ١٩٨٨م

-(لاهوت الألفية الثالثة: وجهة نظر مسكونية)١٩٩٠م

[٤٨] أشار عز الدين عناية الأستاذ التونسي بجامعة روما إلى هذا الكتاب في بحث له بعنوان (الديانات العالمية ومنزلة الأخلاق في لاهوتها هانز كونغ نموذجا) مجلة التفاهم ، العدد ٥٥-٥٦ ، ص ٢١٥

-(اليهودية بين الأمس والغد) ١٩٩٢م

-(مفكرو المسيحية الكبار) ١٩٩٤م

-(المسيحية جوهرها وتاريخها) ١٩٩٥م

-(نعم لأخلاق العولمة) ١٩٩٦م

-(أخلاق عالمية لسياسات واقتصاد عالمي) ١٩٩٧م

-(أخلاق العولمة والمسؤوليات العولمية) ١٩٩٧م.

-(الموت بكرامة) مع ينسر والتر١٩٩٨م

-(الكنيسة الكاثولوكية) ٢٠٠١م

-(كفاحي من أجل الحرية) مذكرات ٢٠٠٣م

-(لماذا مازلت مسيحيًا) ٢٠٠٦م

-(بداية كل الأشياء ،العلم والدين) ٢٠٠٧م

-(الإسلام: الماضي والحاضر والمستقبل) ٢٠٠٧م

-(الحقيقة المتنازع عليها) مذكرات٢٠٠٨م.[٤٩]

-(الصدق في مستقبل الكنيسة) ١٩٦٨م[٥٠]

---

[٤٩] ينظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ١٠٦/٢، المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار، محمد الشاهد ص ٣١ -٣٢، علم الأديان، خزعل الماجدي ص٣٥٨-٣٥٩.

[٥٠] أشار هانس كونغ إلى هذا الكتاب في مقدمة كتابه (معصوم) ص ١٢.

- (تتبع الطريق ، الأبعاد الروحية لديانات العالم) [٥١]

-الدين والعنف والحروب المقدسة، وقد تم ترجمته في ٢٠١٧م

-بالإضافة إلى محاضرات ومقالات على الشبكة العنكبوتية منها:

-(دور الأديان في السلام العالمي) بمشاركة كاتب آخر ٢٠١٣م

وأكثر كتبه السابقة إثارة للجدل في الأوساط الكاثوليكية: هل الله موجود؟،وهوية المسيحي، و معصوم؟ ، وقد جعل عنوانات بعضها مختومة بعلامة استفهام كنوع من الإثارة وبيان أنها مسائل قابلة للنقاش والمراجعة.

[٥١] ذكره سايمون الفريدو كرابللو في كتابه (حبي العظيم للمسيح عليه السلام قادني إلى الإسلام) ونقل منه أقوال هانس كونغ في القرآن والإسلام ص ٦١

المطلب الثاني: نقده للكاثوليكية وموقف الكنيسة منه

اشتهر هانس كونغ بجرأته في نقد بعض القضايا المسيحية، وكان يعد نفسه عالم لاهوت إصلاحي، فعندما وجه إليه سؤال من قبل مجلة دير شبيغل الألمانية حول كونه كافراً في نظر الكنيسة أجاب قائلًا: "أنا لست هرطوقيًا؛ بل أنا عالم لاهوت إصلاحي نقدي، وعلى عكس العديد من منتقديه يستخدم الإنجيل بدلًا من اللاهوت والطقوس وقانون الكنيسة في العصور الوسطى كمعيار له"(٥٢)

كما تميز بنقده العلني الصريح، وقد أشار أحد اللاهوتيين إلى ذلك بقوله:(وكل ما في الأمر أن هانس كونغ تكلم علنًا بما كان غيره يفكر فيه سرًا)(٥٣)

ناقش كونغ في أغلب كتبه اللاهوت المسيحي والكنيسة المسيحية ووقف ضد عصمة البابا الكاثوليكي، وكان منفتحًا أمام البروتستانتية، وكذلك عالج علاقة المسيحية بالأديان التوحيدية القريبة منها كاليهودية والإسلام، وبالأديان الأخرى كالهندوسية والبوذية والصينية.....(٥٤)

وفيما يلي عرض موجز لأبرز آرائه المتعلقة بالمسيحية:

فأما عن الألوهية والثالوث: فقد سبق وأن بينا أن لهانس كونغ كتابين هما: هوية المسيحي، الذي نشر بالألمانية سنة ١٩٧٤، وترجم إلى الفرنسية، وكتاب (أموجود الله؟) الذي نشر بالألمانية سنة ١٩٧٨ وترجم للفرنسية أيضًا.

(٥٢) https://www.spiegel.de/international/zeitgeist/controversial-theologian-hans-kueng-on-death-and-church-reform-a-938501.html

(٥٣) ينظر ندوة (بعنوان الاحتفال بحياة هانس كونغ وتراثه)
https://youtu.be/0HDYtNiCEbY?si=qg9AJhK9yB4Y8ToY

(٥٤) ينظر علم الأديان خزعل الماجدي ص ٣٥٥-٣٥٩

وقد أثار الكتابان ضجة كبرى في الأوساط الكاثوليكية، بسبب موقف المؤلف ونظرته لألوهية المسيح. وهذا الموضوع يمت بصلة وثيقة إلى موضوع الثالوث الأقدس عند النصارى.

يعتبر هانس كونغ الإله واحد لذلك لا يمكن أن يكون الذي تجسد في يسوع المسيح إلها آخر إلى جانب الله كما تقول الآريوسية، ويرفض الشكلانية؛ أي أن ابن الله ليس مجرد شكل لله، بل هو كائن متميز عنه وإن ارتبط به ارتباطًا وثيقًا في علاقة فريدة يراها كونغ في الوحي... فعمل يسوع وأهمية شأنه يقومان على أنه وحي الله لأجل خلاص العالم.

ويرى كونغ أن وجود ابن الله منذ الأزل مع الله قبل التجسد أمر يصعب اليوم تصديقه.

إذن فهانس كونغ يفسر ألوهية المسيح من منظار وظيفي خلاصي لامن منظار ماورائي أي أن الله قد تكلم وعمل وأوحى ذاته الوحي النهائي في شخص يسوع وعمل يسوع فيسوع هو موفد الله ووكيله وممثله ونائبه، وأن كل التصريحات حول البنوة الإلهية ووجود ابن الله منذ الأزل ووساطته في الخلق وتجسده إنما هي وليدة فكر أسطوري.

ويؤكد كونغ أنه لا يرفض أي شيء مما أعلنته المجامع المسكونية في موضوع ألوهية المسيح، ولكنه يضيف أنه يجب التعبير عن تلك التعاليم في إطار مفاهيمنا وثقافتنا المعاصرة.

تلك هي النقطة الأساسية التي رأت السلطة التعليمية في الكنيسة الكاثوليكية أن هانس كونغ قد حاد فيها عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية التقليدي وعن تعليم المجامع المسكونية وعن تعليم العهد الجديد فبحسب تعليم الكنيسة الكاثوليكية يسوع المسيح هو ابن الله ليس فقط لأنه يوحى إليه، بل أيضًا لأنه ابن الله الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس. [٥٥]

ويرجع هذا كله إلى أن هانس كونغ يرى أن هناك فرقًا بين الدين والمؤسسة الدينية، فالدين بسيط النشأة والتكوين، لكن المؤسسة الدينية هي التي تحول هذا الدين إلى سلطة غاشمة، بل تحول الله إلى أشكال تراها هي مناسبة لها،

[٥٥] ينظر اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ١٠٧/٢-١١٠

فالسيد المسيح لم يقل أبدا إنه إله، أو إنه ابن الله، بل المؤسسة الدينية هي من حولته إلى إله، وابن إله، والمسيح لم يقل إنه أقنوم ثلاثي، لكن المؤسسة هي التي صممت هذا الأقنوم، وأقنعت الناس به بالقوة. (٥٦)

وأما عن موقف هانس كونغ من الروح القدس فإنه ينظر إلى الروح القدس نظرة خلاصية ، لاماورائية، فالروح القدس ليس عنصرًا ثالثًا، شيئًا بين الله والإنسان فهو القرب الشخصي الذي به يقترب الله من الإنسان وأن كل سوء فهم للروح القدس يأتي من الفصل بفكر أسطوري الروح القدس عن الله لجعله مستقلًا عنه فالروح القدس هو الله نفسه. (٥٧)

وأما عن موقف هانس كونغ من الثالوث الأقدس فهو يرى أن لفظتي جوهر وأقنوم قد استخدمهما اللاهوت من الفلسفة اليونانية وأنهما لا يعنيان الشيء الكثير للإنسان المعاصر لذا يجب إهمالهما والعودة إلى بساطة التعابير التي نجدها في العهد الجديد.

وخلص مؤلف (اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر) إلى خلاصة مفادها أن كونغ في نظرته إلى المسيح وإلى الروح القدس وإلى الثالوث الأقدس قد ركز على وحي الله للإنسان، وأهمل البحث في كيان الله في ذاته، ففي وحي الله للإنسان ظهر الآب، بالابن في وحدة الروح القدس ؛ لذلك حكمت عليه الكنيسة الكاثوليكية بأن تعليمه ناقص لأنه يبرز جزءًا من العقيدة ويهمل الجزء الآخر. (٥٨)

وأما عن موقفه من المسيحية بطوائفها:

فقد لخص كونغ ما يجب أن تكون عليه المسيحية بطوائفها فقال: "يجب أن يكون هناك إجماع على هذه النقاط بين المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت :

---

(٥٦) ينظر: علم الأديان، خزعل الماجدي، ص ٣٥٦

(٥٧) ينظر اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ١١٠/٢

(٥٨) ينظر: المرجع السابق ١١١/٢.

أ. الله نفسه يعمل معنا وعلينا من خلال الكلمة البشرية للكتاب المقدس، بقدر ما يحثنا على الإيمان ويجعل كلمة الإنسان في إعلانها أداة لروحه، وراء كل المفاهيم الأسطورية والمفاهيم المظللة في كثير من الأحيان يمكن أن يكون هذا الاهتمام الحقيقي بنظرية الالهام.

ب. أن الكتب المقدسة هي في الوقت نفسه كتابات بشرية تمامًا، كتبها مؤلفون بشريون بمواهبهم وحدودهم، وإمكانيات المعرفة والخطأ، بحيث لا يمكن استبعاد الأخطاء من مختلف الأنواع بداهة، في جميع البيانات الإيجابية حول فعالية الكتاب المقدس " (٥٩)

موقفه من اللاهوتيين:

يرى هانز كونغ أن اللاهوتيين في الكنيسة الكاثوليكية اليوم غير مقصورين على رجال الدين فحسب، بل أيضا على اللاهوتيين العلمانيين خارجها. (٦٠)

كما أشار هانس كونغ إلى العلاقة بين اللاهوتيين خارج الكنيسة – أو من يسمون بالعلمانيين – وبين قادة الكنيسة بقوله: "فمن ناحية هناك منصب كنسي يتمتع بالاستقلالية المطلقة والسيادة والاكتفاء الذاتي، والذي بموجب هذه الصفات يعتبر نفسه في نفس الوقت بمثابة مكتب للتعليم ويريد أن يكون له علاقة فورية بالله والروح والحقيقة، وعلى الجانب الآخر صورة اللاهوت كعلم كنسي وهو مخلوق من مخلوقات التسلسل الهرمي، مقيد الضمير، منظم في تفكيره المشرف في قاعة المحاضرات، خاضع للقواعد الاصطلاحية، معرض بالتهديد باللوم من كل نوع، ولا يكتسب الحب والاحترام إلا باعتباره لاهوتًا يخضع لإرادة الحاكم الذي فيه يعيش ويتحرك ويكون فهل هذه هي الهياكل التي يريدها الله ؟ قد يتم الاعتراض على أن الأمور ليست كلها سيئة للغاية وأن اللاهوتيين ليسوا مفسدين وأن المخاطر

(٥٩) Infallibility,page 215

(٦٠) Infallibility,page 237

ليست كبيرة جدًا، هذا صحيح بالتأكيد، أما الواقع فهو مختلف إلى حد كبير، ولكن أليست هذه هي بالضبط المعضلة التي ينبغي الثناء عليها بعد كل شيء؟"(٦١)

وعن واجب اللاهوتيين يقول " يجب على اللاهوت أن يتعامل مع هذا النمط من الأشياء في المقام الأول، يجب توضيح درجة القوة اللاهوتية الملزمة لهذا البناء المهيب من خلال التحقيقات التاريخية والقانونية والمنهجية، بعد الأحداث المرتبطة بالسيرة الذاتية الإنسانية ولكن ليس لهذا السبب فقط، هناك إلحاح خاص بشأن هذه المهام..." ثم أشار كونغ إلى الإعلان الشهير حول حرية اللاهوت والموجه إلى السلطات الرومانية والذي هو من قبل ١٣٦٠ أستاذا في اللاهوت من جميع أنحاء العالم، والمتضمن المطالبة بإصلاح الإشراف الروماني على العقيدة، وفيه:" يشعر اللاهوتيون الموقعون أدناه بأنهم مجبرون بجدية حقيقية ورصينة على الإشارة علنًا إلى أن حرية اللاهوتيون واللاهوت في خدمة الكنيسة والتي استعادها المجمع الفاتيكاني الثاني لا يجب الآن أن تكون محظورة "(٦٢)

وعن المسؤولية الملقاة على اللاهوتي يقول أيضًا:" فلا يجوز له أن يصمت ويتكلم أو ينسحب إلى برجه العاجي الأكاديمي .. إذًا يجب عليه أن يشهد من أجل الإنجيل من أجل البشر، يجب عليه أن يقدم الحقيقة ولا يكن خائفًا حتى من اتباع توجيهات ملموسة وعملية، كل هذا يجب أن يفعله بتواضع وموضوعية مدركًا بوضوح أنه لا يوجد أحد معصوم من الخطأ"(٦٣)

موقف الكنيسة منه:

(٦١) 236 Infallibility,page

(٦٢) 237 Infallibility,page

(٦٣) Infallibility,page 240

لم ينفرد هانس كونغ بنقد العصمة البابوية وإنما كان من رواد نقادها، وقد أثار نقده اهتماماً خاصًا في الأوساط الكاثوليكية.[٦٤]

ونتيجة لتصريحات هانس كونغ والتي رفض فيها الاعتراف بعصمة البابا من الخطأ وأنه لا يتميز عن غيره من البشر، وقع خلاف حاد بينه وبين البابا بروما، حيث انتقد البابا راتسينقر كتاب (معصوم؟) بشدة في إحدى الصحف الكاثوليكية، وانتهى الخلاف بينه وبين البابا بسحب اعتراف الكنيسة بصلاحيته لتمثيلها والإشراف على الطلاب لتخريجهم قساوسة كاثوليك، وألغي كرسي الأستاذية الخاص به والذي تنفق عليه الكنيسة وكان ذلك في عام ١٩٨٠م. بعد ذلك قامت حكومة ولاية بادن فرتنبرج التي تتبعها جامعة توبنغن بتولي الإنفاق على كرسي الأستاذية الخاص به. [٦٥]

وعندما سئل هانس كونغ من قبل مجلة شبيغل الألمانية: "هل تتوقع أن يعاد لك الاعتبار أو إعادة تأهيلك أثناء حياتك؟ أجاب كونغ: كلا، يمكن لمؤتمر الأساقفة الألمان أن يبدأ عملية إعادة الاعتبار، ولن يكون على روما سوى أن توافق عليها، ولكني لم أعد أتوقع ذلك، ولا ينبغي للبابا فرنسيس أن يعرض مهامًا أخرى مهمة للخطر من خلال إعادة الاعتبار لي والتقرب مني أكثر مما ينبغي!! "[٦٦]

---

[٦٤] جاء في الموسوعة الكاثوليكية الجديدة: "في العقد التالي تقريبا للمجمع الفاتيكاني الثاني، أثارت ثلاث دراسات إهتمامًا خاصًا بالنقاش حول العصمة البابوية في الولايات المتحدة وهي: معصوم؟ هانز كونغ ١٩٧١م، وكتاب بريان تيرني أصول العصمة البابوية ١٩٧٢م، وكتاب أغسطس هاسلر بيوس التاسع ١٩٧٧م " New catholic encyclopedia, page 450

[٦٥] ينظر: المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار، محمد الشاهد ص ٣١

[٦٦] https://www.spiegel.de/international/zeitgeist/controversial-theologian-hans-kueng-on-death-and-church-reform-a-938501.html

ويقول أيضًا: " هناك مجموعات قوية في الفاتيكان وفي الكنيسة حول العالم تريد إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء وهم قلقون بشأن امتيازاتهم" (٦٧)

وكل ما في الأمر أن هانس كونغ كاثوليكي أراد التوجه إلى الإنسان المعاصر بلغة يفهمها، فحكمت عليه الكنيسة بأنه حاد عن الإيمان المسيحي كما تعتنقه الكنيسة الكاثوليكية منذ القديم. (٦٨)

بل إن اليمين المسيحي المحافظ ينظر إليه شزرا وقد يكفره أو يزندقه. .فإنه يعتبر هانس كونغ كافرًا زنديقًا لأنه طبق أحدث المناهج التاريخية على الإنجيل وشخص السيد المسيح كما اعترف بضرورة تطبيق النقد الفلسفي على التراثات الدينية كلها. (٦٩)

وكان هانس كونغ قد توقع هذا الموقف من الكنيسة وذكر ذلك في كتابه المثير للجدل (معصوم) حيث قال: "إن وجهة نظر اللاهوت الكلاسيكي والقانون الكنسي هي أنه حتى التهديد بالحرمان الكنسي قد لا يمنع المسيحي من اتباع ما يمليه عليه ضميره، إذا وجد لاهوتي أو مسيحي نفسه في مواجهة مثل هذا الصراع المأساوي فإن حقيقة كونه مسيحيًا متدينًا ستجبره على تحمل الحرمان في الإيمان مهما كان ذلك صعبًا عليه نظرًا لولائه للكنيسة... إذ لا ينبغي على الإنسان هنا أن يطيع القاضي ضد الله، بل أن يتحمل الحرمان بكل تواضع." (٧٠)

---

(٦٧) المرجع السابق، وانظر: مقالة بعنوان اللاهوتي المنشق هانز كونغ "الربيع الكاثوليكي"، بيار عقل ٢٠١٣م، http://farouk.blogspot.com

(٦٨) ينظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ٢/ ٩٧

(٦٩) مقال في صحيفة الشرق الأوسط، هاشم صالح، ٣٠ أكتوبر ٢٠١٤م / ٧ محرم ١٤٣٦هـ

(٧٠) Infallibility,hans kung,page 46

ولم يقف الأمر عند مخالفة البابا له ؛ بل خالفه عدد من اللاهوتيين الكاثوليكيين ، وكان منهم من أجرى معه مناظرة حول هذا الموضوع كمناظرته مع الكاثوليكي الألماني كارل رينير ١٩٠٤م ، وكانت المناظرة في عام ١٩٧٣م .[٧١]

المبحث الثالث: التعريف بكتاب (معصوم؟)

المطلب الأول: وصف الكتاب وعرض أبرز محاوره

أولًا: العنوان

وضع هانس كونغ لكتابه عنوانًا مثيرًا وهو ' Infallible? An Inquiry ' والتي تعني العصمة من الخطأ[(٧٢)]، وصاغه على هيئة سؤال (معصوم؟) وهو سؤال استنكاري يشير به إلى موقفه من العصمة البابوية فهو من أشد المعارضين لها لدرجة أنه ألف كتابًا في نقدها، ثم وضع عنوانًا فرعيًا بعده وهو (للتحقيق) مشيرًا بذلك إلى أن مسألة العصمة البابوية موضوع الكتاب مفتوحة للتعليق والتحقيق.

وبحسب تصنيف مكتبة الكونجرس فقد ألف الكتاب إبتداءً باللغة الألمانية (اللغة الأم للمؤلف) عام ١٩٧٠ م، ثم ترجم بعد ذلك إلى الإنجليزية وطبع في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧١م.

ويقع الكتاب بنسخته الإنجليزية في ٢٦٢صفحة.

ثانيًا: محتويات الكتاب

[٧١] ينظر https://www.americamagazine.org/faith/1973/07/07/infallibility-debate-jul y-7-19 73

(٧٢) Oxford Wordpower/page 392

بدأ بمقدمة تضمنت وجهة نظره في تأليف هذا الكتاب، ثم جعل أول فصل فيه بعنوان: أخطاء التعليم الكنسي، ثم انتقل إلى مبحث قدم فيه رسالة لفحص الضمير، ثم تكلم عن مسألة السلطة، ومكتب التدريس والضمير، والنقطة العصبية، ولماذا لم يقتنع البابا؟

وتناول ترسيمات ثابتة، ومنها حجج الكتاب المدرسي، والمجمع الفاتيكاني الثاني والعصمة، والأسئلة المضادة الحرجة، واهتمام الفاتيكان بالعصمة، وتعريف العصمة البابوية، والبابا ضد الكنيسة؟

وناقش المشكلة المركزية وتشمل: الحدود السلبية وانعدام الحرية في الفاتيكان، وسؤال الأولوية وحقوق الضمير وإمكانية وشروط، وحدود تعريف العصمة، ومصطلح العصمة، والحقيقة، والولاية والسلطة.

كما تناول إشكالية الافتراضات في حد ذاتها، والأصل العقلاني لنظرية القضايا الواضحة باعتبارها المثل الأعلى للمعرفة وإشكالية التعريفات الكنسية، والمعضلة وحلها، والكنيسة على طريق الحقيقة والعصمة أم عدم القابلية للخطأ، وثبات الكنيسة في الحق ووجهات النظر المسكونية وحقيقة المجالس وحقيقة الكتاب المقدس، ومكتب تدريس؟ والتوقعات: البابا كما قد يكون ، وبدلًا من الخاتمة.[٧٣]

ثالثاً: الغرض من تأليف الكتاب:

ذكر هانس كونغ في مقدمة الكتاب أن الهدف من تأليفه ليكون موضوع العصمة مفتوحاً للتعليق وللمناقشة، وأن العنوان الفرعي – للتحقيق– ينص ويؤكد على ذلك، وأنه تعمد طرح هذا السؤال ليحصل على الإجابة .[٧٤]

ولم يخف على هانس ما قد يحدثه مؤلفه هذا من اعتراضات لذا بادر في المقدمة إلى ذكر سبب تأليفه الكتاب والأسلوب الذي سلكه فيه بقوله: "لا أحد يفترض – ونتوقع هنا الاعتراضات واللوم الذي سينشأ حتمًا – نقصًا

---

[٧٣] ينظر Infallibility,hans kung

[٧٤] ينظر Infallibility,page 221

في الإيمان والمحبة من جانبنا، في حين أننا الآن في ضوء اهتمامنا وفهمنا للكثير من المعاناة الإنسانية في الكنيسة نلجأ إلى الاسترضاء والتسامح، لم يعد الهدوء مناسبًا، بل أصبح الحديث الشجاع والمفعم بالأمل مطلوبًا.... إن المؤلف لم ينقد بواسطة غطرسته لكنه فقط يريد المساعدة في الاستماع إلى مظالم المجتمع المؤمن التي لا يمكن إنكارها، وإذا كانت النبرة حادة في بعض الأحيان والأسلوب قاس فإن هذا لا يعد انعكاسا لعدائية المؤلف، بل للطريقة التي يؤثر بها الأمر عليه"[٧٥]

المطلب الثاني: موقف هانس كونغ هانس من العصمة البابوية من خلال كتابه (معصوم؟)، ونماذج من أقواله في نقدها.

لم يكن هانس كونغ أول من نقد العصمة البابوية من الكاثوليك المعاصرين، فهناك دراسات عديدة من بينها دراسة اللاهوتي بيريان تيرني[٧٦] الذي ألف كتاب (أصول العصمة البابوية) عام ١٩٧٢م، وهذه الدراسة – بحسب ما جاء في الموسوعة الكاثوليكية الحديثة – أجبرت اللاهوتيين على أخذ تاريخ العقيدة على محمل الجد، وخلاصة نقد تيرني للعصمة في كونها غير واقعية، وذكر أنه قبل القرن الرابع عشر لم يدافع أحد عن عقيدة العصمة البابوية، بل كانوا يجادلون من أجل السيادة البابوية لكنهم لم يجادلوا أبدا في قابلية البابوية للخطأ.

وكذلك دراسة أغسطس هاسلر الذي ألّف كتاب (بيوس التاسع) والمكون من مجلدين عام ١٩٧٧م، ثم اختصره في النسخة الإنجليزية تحت عنوان(كيف أصبح البابا معصوما من الخطأ: بيوس التاسع وسياسة الإقناع)، وكان قد عمل في أمانة سر الوحدة المسيحية في الفاتيكان من عام ١٩٦٦ /١٩٧١م ، وقد وصفت الموسوعة الكاثوليكية دراسته بأنها الهجوم الأكثر مرارة على صحة العصمة البابوية، وقد بيّن فيها أن السبب الوحيد لإقرار تعريف العصمة

---

(٧٥) Infallibility,page 12

(٧٦) بريان تيرني ١٩٢٢-٢٠١٩م، أستاذ الدراسات الإنسانية، درس في كامبردج، ومارس التدريس في الجامعة الكاثوليكية وهو مؤرخ القانون الكنسي في العصور الوسطى. New catholic encyclopedia 451 https://www.bangsfuneralhome.com/obituary/brain-tirney

البابوية هو تلاعب بيوس التاسع وترهيب أساقفة الأقليات قبل وأثناء وبعد المجمع، وأن بيوس التاسع سيطر على المجلس. (٧٧)

أما هانس كونغ فخلاصة رأيه أن عدم العيب وليس العصمة هو ما يكفي لحياة الكنيسة، أي أن الكنيسة كلها ستستمر في الثبات في حق المسيح على الرغم من الأخطاء الواردة في التعاليم الرسمية للبابوات والمجامع وكان آخر التعاليم البابوية تحديد النسل، السيرة الذاتية للإنسانية. (٧٨) تلك التعاليم التي كانت من أسباب ثورة هانس كونغ وانتقاداته للبابا، لأنها تضمنت اعتبار منع الحمل خطيئة محرمة وغير ذلك.

وكان قد وضع لائحة من تسع خطايا يرى أن الكنيسة الكاثوليكية تقع فيها وذكر منها الطاعة غير المشروطة لعصمة البابا، كما أنه طرح مجموعة من النصائح للبابا ومنها إزاحة عصمته. (٧٩)

وفيما يلي عرض مفصل لموقف هانس كونغ من العصمة البابوية من خلال كتابه (معصوم؟ للتحقيق):

افتتح هانس كونغ كتابه بمقدمة عنون لها بـ (مقدمة صريحة) ومما جاء فيها: "إن تحديد الكنيسة الكاثوليكية الذي سعى إليه المجمع الفاتيكاني الثاني مع احتمالية التفهم المسكوني مع الكنائس المسيحية الأخرى والانفتاح الجديد على العالم الحديث وصل إلى طريق مسدود "(٨٠)

---

(٧٧) ينظر New catholic encyclopedia, page 448-452

(٧٨) New catholic encyclopedia, page 450

(٧٩) ينظر علم الأديان، خزعل الماجدي ص ٣٥٦-٣٥٧

(٨٠) Infallibility,hans kung,page 11

ثم يؤكد أن نقده للكنيسة الكاثوليكية لا يعني انسلاخه من عقيدته وأنه سيظل رغم كل انتقاداته لاهوتيًا كاثوليكيا مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بكنيسته معتقدا أن لديه الحق ويجب عليه ذلك ، ومدركاً تمامًا لعدم كفاءته الإنسانية وقابليته للخطأ. "(٨١)

نقده للمجمع الفاتيكاني الأول والثاني اللذين قررا العصمة البابوية:

ألقى هانس كونغ اللوم على من أضفى القداسة على المجمع الفاتيكاني الثاني وقراراته ولم ينتقدها في فترة ما بعد المجمع، ولم يسهم في التفكير النقدي حول المجمع الفاتيكاني الأول وتعريفاته، ولم يقم بإثارة نزع الأسطورة عن مكتب التدريس الكنسي، ولم يطرح مسألة العصمة الكنسية أكثر من أولئك الذين يتصرفون كما لو كانوا معصومين من الخطأ في جميع المسائل المحتملة المتعلقة بعقيدة الكنيسة وأخلاقها ونظامها (٨٢)

ثم بدأ ينتقد ما حدث في المجمع الفاتيكاني الأول ويتساءل قائلًا "بعد ذلك سيتعين التحقيق في الفاتيكان الأول وإثباته للعصمة البابوية، قد يكون هناك سؤال غير مهم بمثابة انتقال من المجمع الفاتيكاني الثاني إلى المجمع الفاتيكاني الأول: هل كان المجمع الفاتيكاني الثاني سيحدد العصمة إذا لم يكن المجمع الفاتيكاني الأول قد حددها بالفعل؟"(٨٣)

وفي الفصل الذي عنون له بالمشكلة الرئيسية انتقد ما حدث في الفاتيكان الأول من حيث انعدام الحرية وتأثر الأغلبية بالأفكار التي تؤيد استعادة وتعزيز السلطة البابوية في مواجهة التنوير، كما بين ما تعرضوا له من ضغوط من قبل البابا آنذاك وهو بيوس التاسع ثم يردف قائلًا "واليوم بعد مرور مئة عام يعترف المؤلفون الكاثوليك بهذه الأمور بصراحة وجرأة" (٨٤)

---

(٨١) ينظر Infallibility,page 26

(٨٢) ينظر Infallibility,page 14

(٨٣) Infallibility,page 86

(٨٤) 126

وعن المجمع الفاتيكاني الأول ودوره في الانقسام داخل الكنيسة الكاثوليكية يقول: " أدت الممارسة الحادة والميول المتعصبة حقًا في الفاتيكان الأول إلى حد ما إلى إصدار تصريحات حادة للغاية وغير مدروسة حول أولوية البابا وعصمته، وفي الوقت نفسه تم ببساطة تجاوز أقلية كبيرة من الأساقفة، وحتى قبل اختتام المجلس كان معظمهم قد غادروا روما وهم يشعرون بالمرارة، بالنسبة للحياة داخل الكنيسة ولنمو الكنائس المنفصلة معًا وكذلك بالنسبة للعلاقات مع العالم الحديث فقد نشأت مشاكل لا يمكن ببساطة حلها حتى من قبل المجمع الفاتيكاني الثاني، إن سيادة البابا التي حددها الفاتيكان الأول على أنها جوهر وعلامة ومبدأ الوحدة أصبحت في الواقع سببًا للانفصال بين الكنائس وحدثًا للعديد من الانقسامات النفسية داخل الكنيسة ولذلك فإن المشاكل التي أثارها الفاتيكان لم تتم تسويتها بعد بأي حال من الأحوال "[٨٥]

ويذكر أيضًا أن مجمع الفاتيكان الأول والثاني قد أسفرا عن نتيجة لم يتم إثباتها بشكل مقنع وهي وجود افتراضات معصومة من حيث المبدأ، وأن المجمع الفاتيكاني الثاني في تصريحاته بشأن قابلية الخطأ يعتمد بشكل كامل على المجمع الفاتيكاني الأول وأنه يقف على أرض هشة للغاية عندما يحاول من جانبه توسيع مفهوم المجمع الفاتيكاني الأول بمساعدة نظرية غير تاريخية عن الخلافة الرسولية الحصرية [٨٦]

موقفه من مكتب التدريس الكنسي:

بعد المقدمة التي بدأ بها هانس كونغ كتابه، شرع في الحديث عن مسألة (عصمة التعليم الكنسي؟) وجعل لها عنوانًا رئيسيًا على هيئة سؤال، ثم استعرض أبرز أخطاء مكتب التعليم الكنسي وبين أنها كثيرة وخطيرة، وذكر الأخطاء الكلاسيكية لمكتب التدريس الكنسي والتي من بينها الحرمان الكنسي لبعض البطاركة والذي تسبب في الانشقاق مع الكنيسة الشرقية، وكذلك إدانة العالم غاليلو ثم يقول: " هناك أخطاء في التعليم الكنسي موجودة في كل طريق

---

(٨٥) Infallibility,page 129

(٨٦) ينظر Infallibility,page 151

Infallibility,page

وهي كثيرة " ثم قال مشككًا بالعصمة مع وجود تلك القرارات " من شأن بعض القرارات المهمة أن تقيد أو حتى تستبعد أخيرًا احتمال العصمة لبعض القرارات المهمة الأخرى، ولفترة طويلة تمكن اللاهوتيين الكاثوليك في أعمالهم حول الدفاعيات في خدمة التدريس من درءها بنجاح كبير"(٨٧)

ويستمر في نقد مكتب التدريس حيث يقول: " فإن ما يسمى بمكتب التعليم الكنسي لا يعلن البشرى السارة بيسوع المصلوب والقائم، بل يفتخر بكونه معلم الأمم ويطرح عقيدة مكونة من خليط غير مناسب من الأفكار الأفلاطونية والأرسطية والتوماوية، إنه يتجاوز صلاحياته ولا يمكنه أن يدعي الطاعة ولا المصداقية"(٨٨)

وعن عدم استعداد السلطة التعليمية في الكنيسة للتغيير يقول: " يخشى عدد غير قليل من اللاهوتيين والمؤمنين أن يؤدي التغيير في التعليم الرسمي إلى الإضرار بثقة الكاثوليك في سلطة الكنيسة التعليمية لأنهم يتساءلون كيف يمكن لمعونة الروح القدس أن تسمح بمثل هذا الخطأ لعدة قرون، وهو الخطأ الذي كان له كل هذه العواقب، خاصة في القرون الأخيرة، لكن معايير تمييز ما يمكن للروح أن يسمح به أو لا يسمح به في الكنيسة لا يمكن تحديدها بشكل مسبق"(٨٩)

وقال أيضًا: "بداية من حقيقة أنه لا يجوز قبول أي تقليد كنسي دون فحص، ولكن يجب الحكم عليه بشكل نقدي في ضوء الرسالة المسيحية الأصلية، سواء كان هذا التقليد تطورًا وفقًا للإنجيل أو ضد الإنجيل أو خارج الإنجيل، الواقعية أو حتى الشرعية القانونية تعني الشرعية بالمعنى اللاهوتي عند رؤيتها على ضوء الإنجيل ولكن بالنسبة لأولوية التدريس المعصومة من الخطأ، هناك شكوك حتى فيما يتعلق بالواقعية"(٩٠)

---

(٨٧) Infallibility,page 30

(٨٨) Infallibility,page 36

(٨٩) Infallibility,page 51

(٩٠) Infallibility,page 112

موقفه من البابا وأولويته في الكنيسة:

تكلم عن ما يجب أن يكون عليه البابا فقال: "إن الخدمة البطرسية في الكنيسة منطقية وسيؤكدها كل كاثوليكي لكن البابا موجود من أجل الكنيسة وليس الكنيسة من أجل البابا، أولويته ليست أولوية الحكم بل أولوية الخدمة، ولا يجوز لحامل الخدمة البطرسية أن ينصب نفسه ربًا للكنيسة، أو حتى ربًا للإنجيل: هذا ما يفعله اليوم، بعد كل التجارب السلبية في الأزمنة السابقة" (٩١)

وقال أيضاً:" إذا كان البابا يستطيع أن يعرّف حتى بدون إجماع الكنيسة، فهل يستطيع أن يفعل ذلك – على سبيل المثال في تعريف معصوم من الخطأ ؟ لفساد تحديد النسل، وهو أمر غير أخلاقي تماما، وممكن تمامًا في نظر المتطرفين الرومانيين– أيضا ضد إجماع الكنيسة؟ حتى الفاتيكان الأول لم يجرؤ على اقتراح أي شيء من هذا القبيل، على الرغم من وجود نظريات رومانية، إذا وقف البابا ضد الكنيسة بأكملها فسوف ينسبون الأرثوذكسية إلى البابا وحده ويتهمون الكنيسة ككل بالهرطقة"(٩٢)

كما انتقد هانس كونغ في كتابه ما جاء في المادة ٢٥ من قرار المجمع من أن الأساقفة الأفراد لا يتمتعون بالعصمة من الخطأ بقوله " فإن السؤال الذي يطرح نفسه لا يطرح أبدًا: ولماذا لا في الواقع؟ لماذا الأسقف الفردي بصفته خليفة الرسل – الذي بحسب هذه النظرية كان معصومًا من الخطأ كأفراد – ليس معصومًا من الخطأ كأسقف فردي؟ هل أصبحنا الآن خائفين فجأة من بعض النتائج المترتبة على هذه النظرية؟ ولكن إذا كنا خائفين من هذا فلماذا لا نخف في جوانب أخرى؟ "

(٩١) Infallibility,page 26,27

(٩٢) Infallibility,page 107

ويقول أيضًا: "والحقيقة أن المجمع الفاتيكاني الثاني لم يكن في الواقع مهتما كثيرًا بهذه العصمة، حتى إنه لم يناقشها بجدية قط، وفي الملاذ الأخير، هل يمكننا ربما أن نتدبر أمورنا في الكنيسة دون مثل هذه العصمة من الخطأ؟ " (٩٣)

أسباب تحديد العصمة البابوية :

تحدث هانس كونغ عن الظروف التي سبقت تعريف العصمة والاضطرابات السياسية في أوروبا والتي ألقت بظلالها على الفكر الأوروبي قبل انعقاد المجمع الفاتيكاني الأول ودورها في تحديد العصمة فيقول: " تم تحديد تعريف العصمة البابوية إلى حد كبير قبل أن يصوت المجلس نفسه لصالحها، هل من الممكن تعريف العصمة البابوية في عام ١٨٧٠ م لو لم يكن غالبية آباء المجلس قد نشأوا في فترة العودة السياسية ومناهضة التنوير والرومانسية المناهضة للعقلانية في النصف الأول من القرن، الوقت الذي كان فيه الناس في أوروبا، بعد الارتباك والتجاوزات التي شهدتها الثورة الكبرى في العصر النابليوني، كان لديه شوق لا يقاوم إلى السلام والنظام إلى العصور القديمة الطيبة – في الواقع إلى العصور الوسطى المسيحية – وعندما لم يكن أحد أفضل من البابا يستطيع تقديم الخدمات الدينية....

وهل كان من الممكن تعريف العصمة البابوية في عام ١٨٧٠ لو لم تتعرض أسس حركة النهضة برمتها للتهديد خلال النصف الثاني من ذلك القرن من قبل الليبرالية، وخصمها الاشتراكية التي تشبهها في كثير من نواحي، والتي رسخت نفسها بسرعة مع التقدم في التصنيع، الذي بدا بإيمانه بالتقدم والحرية في الحياة السياسية والاقتصادية والعلوم والثقافة، وكأنه يلغي كل السلطة والتقاليد الدينية؟ كانت النزعة القومية ومناهضة الاكليروس تثيران بعضهما البعض، لقد عادت عقلانية التنوير في شكل الوضعية المناهضة للمثالية والرومانسية، وفي شكل العلوم التجريبية الناشئة للطبيعة والتاريخ. ... ومع ذلك فإن هذين العاملين الأكثر عمومية – الرغبة في الحفاظ على النظام القديم والعداء تجاه النظام الجديد– لا يوفران في حد ذاتهما دافعاً كافيًا لاهتمام المجمع الفاتيكاني الأول بتعريف العصمة – تمامًا بشكل مختلف عن التعريفات المجمعية السابقة –" (٩٤)

---

(٩٣) Infallibility, page87

(٩٤) Infallibility,page89,90

وعن أثر القساوسة –المتأثرين بتعاليم كنيسة روما– في تقرير عقيدة العصمة يقول: " ماهي الدوافع إذن التي كانت حاسمة في النهاية لتعريف العصمة البابوية ؟ في الواقع كانت العصمة البابوية أمراً مفروغًا منه من قبل غالبية الأساقفة قبل أن يتم تعريفها، لقد جاء معظمهم من البلدان الكاثوليكية تقليديًا، وأضيف إليهم الشرقيون الذين تدربوا في روما وجميع الأساقفة المبشرين تقريبًا، بالإضافة إلى البعض من البلدان التي كان فيها النضال ضد الليبرالية أو البروتستانتية حادًا بشكل خاص، بالنسبة لهم جميعًا مع القليل من التفكير في الصعوبات التفسيرية التاريخية والمنهجية الهائلة في طريق التعريف، كان الأمر واضحًا منذ البداية "[٩٥]

كما أشار هانس كونغ إلى دور توماس الإكويني[٩٦] في إرساء عقيدة العصمة، وذكر أنه عضو في نظام متسول محكوم مركزيًا وأنه على الرغم من كل مزاياه التي لا جدال فيها في علم اللاهوت ككل إلا أنه قدم لليونانيين الحجج المؤيدة لأولوية الحبر الروماني، وأنه بنفس السلطة التي منحها المسيح لبطرس، وأن الحبر الروماني هو خليفة بطرس فيما يتعلق بسلطة التعليم البابوية، وأنه– أي البابا – هو الذي يقرر البابا ما ينتمي إلى الايمان، وبيّن أن الإكويني اعتمد– بحسن نية – على تزييفات[٩٧] وضع بها أسس عقيدة العصمة في الفاتيكان الأول وأن هذا لا يعني أنها كانت مقبولة بشكل عام في الحال، لكن بعد ذلك بوقت قصير أدى نفي أفينيون والانشقاق الغربي ببابواته ثم

---

(٩٥) 122 Infallibility,page

(٩٦) توما الإكويني ١٢٢٤–١٢٧٤م، انضم إلى النظام الدومنيكاني وتدرج في التعليم حتى حصل على الدكتوراه في اللاهوت عام ١٢٥٧، وكان متأثرًا بفكر أرسطو في المنطق، كتب موسوعة لاهوتية، له مكانة كبيرة في الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية، ومن أعماله التجديدية أنه فصل دراسة الفلسفة عن علم اللاهوت، حرمت الكنيسة كتاباته ثم رجعت عن ذلك وانتهى الأمر بإعلانه قديسًا وذلك بعد وفاته بخمسين عامًا. ينظر: تجديد الفكر الديني في المسيحية، القس صموئيل رزق ص ١١١–١١٢، تاريخ الفكر المسيحي ، جوناثان هيل ص ١٥٧ .

(٩٧) يقصد بالتزييفات الوثائق التي أعدها القائمون على الكنيسة الرومانية لإعطاء السلطة لها، والتي تتضمن مراسيم إمبراطورية أو بابوية لتضفي صفة الشرعية على سيطرة البابوية على رجال الدين والملوك من جهة وعلى سلطتها الدنيوية بوجه عام من جهة أخرى، وهما وثيقتان مزورتان اشتهرتا بين المؤرخين تم تزييفهما على أيدي رجال الكنيسة. انظر البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى ص ٢٢–٢٧، المسيحية، ساجد أمير ص ٣٣٨

وجود ثلاثة بابوات يتناقضون مع بعضهم البعض وأخيرًا فترة المجمع، إلى جعل المبالغات في سلطة التدريس البابوية تبدو طوباوية مثل المبالغات في سلطة السلطة القضائية الكنسية العلمانية. (٩٨)

ومن أسباب تقرير العصمة التي ذكرها هانس كونغ ما فعله البابا بيوس التاسع من أجل فرض إقرار عقيدة العصمة على المجمع الفاتيكاني الأول حيث يقول "كما أنه لم يكن من الممكن تعريف عصمة البابا في عام ١٨٧٠ لو لم يضغط هذا البابا نفسه بشكل صارخ أكثر فأكثر مع مرور الوقت من أجل تعريف البابوية في العصمة من الخطأ باعتبارها رغباته الأكثر غباوة " (٩٩)

وعن نقد تعريف العصمة يقول " لكن لا يكفي أن نكشف هذه الخلفية بشكل نقدي وبصراحة كما يفعل المؤرخون الكاثوليك اليوم، مع الامتناع في الوقت نفسه عن أي تفكير نقدي حول التعريف نفسه. إن الإشكالية التاريخية التي تم الكشف عنها هنا لا تؤثر فقط على مناسبة تعريف العصمة كما تم صياغتها في كثير من الأحيان بشكل غير ضار في الماضي " (١٠٠)

ويقول: "وبصرف النظر عن الضغط الكوري المستمر على المجمع واللجنة اللاهوتية فان هذه النظرة والدافع الجديد لعقيدة الإلهام والعصمة لم يتم إعدادها بشكل كاف للأسف في الكتابة اللاهوتية وبالتالي فهي غير مألوفة لدى غالبية الآباء" (١٠١)

نقده للمستند الكاثوليكي لإقرار العصمة البابوية:

تحدث هانس كونغ عن نص متى الذي يستشهد به البابوات الرومان – والذي سبق إيراده – ورد هانس كونغ على استدلالهم به قائلًا:

---

(٩٨) ينظر Infallibility,page 117-119

(٩٩) Infallibility,page 92

(١٠٠) Infallibility,page 94

(١٠١) Infallibility,page214

"تم استخدامه – خاصة من قبل البابوات الرومان، داماسوس وليو– لدعم المطالبة بالأولوية، وحتى ذلك الحين دون أي ادعاء رسمي بالعصمة وأخيرًا في كل التفسير الشرقي لمتى ١٦:١٨ حتى القرن الثامن وما بعده، كان ينظر إليه في أحسن الأحوال على أنه إشارة إلى أولوية بطرس الشخصية، دون أي تفكير جدي في الأولوية الرومانية"(١٠٢)

كما حاول هانس كونغ أن يفصل ما بين الوعود التي أعطيت للكنيسة في نصوص الأناجيل (متى ١٦:١٨وغيره) وبين الاعتراف بالأخطاء الموجودة في الكنيسة فيقول: "لا يمكن لأي شخص يفكر بشكل نقدي أن يفشل في رؤية ذلك ليست هناك حاجة هنا إلى دراسة استقصائية واسعة النطاق ويكفي ملخص موجز، يجب أن نسمح بوجود أخطاء حتى في مقترحات الكنيسة بشأن الإيمان (بالمعنى الأوسع للكلمة) مادامت هذه افتراضات بشرية "(١٠٣)

ثم يذكر هانس كونغ ردًا آخر على الاحتجاج بتأييد الروح القدس للكنيسة ودلالته على العصمة البابوية فيقول: "لقد وعد الروح القدس الكنيسة بأن يقود المؤمنين على الطريق الصحيح نحو خلاصهم، إن ارتكاب الكنيسة لأخطاء جسيمة في مسؤوليتها الجسيمة المتمثلة في قيادة النفوس سيكون بمثابة الإشارة بجدية إلى أن مساعدة الروح القدس كانت غير متوفرة وهنا يبدو علينا أن نقول إن نقطة الضعف في نظرية العصمة الرومانية – على عكس نية المدافعين عنها الذين يتحدثون كثيرًا عن الإيمان – هي في نهاية المطاف عدم الإيمان. هل هذا غير واضح؟ "(١٠٤)

المفهوم الحقيقي للعصمة عند هانس كونغ:

يؤكد هانز كونغ على المفهوم الحقيقي للعصمة وهو عصمة الكنيسة فيقول: " يمكن للمرء أن يتحدث عن عصمة الكنيسة، وبعد أن أثبتنا ذلك بشكل نقدي بطريقة أكثر شمولًا فإننا نتمسك تمامًا بالبيان الذي ورد في كتاب سابق

---

(١٠٢) Infallibility,page 111

(١٠٣) Infallibility,page 174,175

(١٠٤) Infallibility,page 176,177

حول عصمة الكنيسة أو عدم قابليتها للخداع – بقدر ما تكون الكنيسة مطيعة بتواضع – لكلمة الله وسوف تشارك في حق الله نفسه الذي لا يستطيع أن يخدع ولا ينخدع فالكذب والاحتيال بعيدان عن البر، العصمة عدم الخداع بهذا المعنى الجذري تعني بالتالي بقاء الكنيسة أساسيًا في الحقيقة التي لا تبطلها الأخطاء الفردية"(١٠٥)

وينتقد هانز كونغ ارتباط الكنيسة الكاثوليكية بالتعاليم الرومانية فيقول "أنا أؤمن بكنيسة مسيحية كاثوليكية عالمية واحدة، ومن ثم لا يمكن لأحد أن يعتقد أن الكنيسة مثل منظمة الدولة الخارجية مرتبطة بهذا البلد أو المملكة أو الطبقة كما يريد البابا أن يقول عن روما، ولكن من المؤكد أن الجنود والرجال هم الكنيسة الصحيحة الذين يؤمنون حقًا بالمسيح باستمرار في العالم من شروق الشمس إلى غروبها الذين لهم إنجيل واحد مسيح واحد ومعمودية واحدة وسر واحد يحكمهم روح قدس واحد مع أنهم مختلفون" (١٠٦)

وعن الكنيسة وعصمتها يؤكد كونغ أنها لا تتميز عن المنظمات البشرية الأخرى بحقيقة أنه لا يوجد خطأ فيها أو أنه يوجد فيها على الأقل في مجالات معينة مع أشخاص معينين أو في حالات معينة، ويذكر أن هناك أخطاء كفهرس الكتب المحرمة التي كانت تصدرها الكنيسة، وأن الخطأ أمر كنسي وبابوي أيضاً لأنهما بشر وأنه إذا ماتم نسيان هذه الحقيقة في الكنيسة فعلى المسيحيين أن يتذكروه بقوة شديدة، وأن التميز فقط في حقيقة أن الوعد الذي أعطي لها ولمجتمع المؤمنين بالمسيح هو في نجاتها من كل الاستنتاجات الخاطئة. (١٠٧)

ويقول: " لقد وجدت الكنيسة منذ ما يقرب من ألفي عام قبل أن يتم تعريف العصمة ومع ذلك فإن الافتراضات التي تعتبر معصومة من الخطأ كما أوضحنا لا تعطى لمؤمن فردي ولا لبعض المؤمنين. .... فإن العقائد وتعريفات

(١٠٥) Infallibility,page 181

(١٠٦) Infallibility,page 196-197

(١٠٧) ينظر Infallibility,page 186

الإيمان ومظاهر الإيمان وعقائد الإيمان لها أيضًا معناها العميق وأهميتها بالنسبة لنا، دون ادعاء العصمة في مقترحاتها الفردية"(١٠٨)

ويعقد مقارنة بين الكتاب المقدس والقرآن فيقول: " بل كل تاريخ الكتاب المقدس قبل وبعد هو بهذا المعنى (موحي به من الروح): لا يمليه الروح بل متأثر بالروح ومن ثم لا يتعلق الأمر هنا بمعجزة كما هو الحال مع القران مثلًا، الذي نزل مباشرة من السماء –بواسطة الملائكة– على النبي ككتاب مقدس خالي من الخطأ وليس فيه سوى افتراضات معصومة من الخطأ، والتي يجب بعد ذلك قبولها شفهيًا وبالتالي لا يجوز حتى تفسيرها أو جعلها موضوعًا للتعليق " (١٠٩).

وختم كتابه بخاتمة بين فيها مقصده من إثارة هذا الموضوع وعن أسلوبه فيه وموقفه ممن سيهاجمه ، وأن على من ينتقد ماكتبه أن ينتقد تعبيره وأسلوبه لاإيمانه،وعلى من لايفهم أسلوبه أن يتركوا ماكتبه ويبحثوا عن كتاب آخرين أكثر خبرة ووضوحاً منه في هذه المسائل التي يخوضها، لكن ليس لأحد أن يتوقع منه الصمت ويقول:" أما أولئك الذين يشكون من غموض كتبي دون أن يبذلوا أدنى جهد جاد لإتقان مثل هذه المواضيع، فبدلًا من مهاجمتي بشراسة وإخباري بالتوقف عن الكتابة، فليعطوا أنفسهم للصلاة والدراسة، وإذا قال أحد: أنا افهم قصدك جيدًا، ولكن هذا ليس صحيحًا، أطلب منه أن يوضح موقفه "(١١٠)

وبعد فإن ما سبق إيراده من أقوال لهانس كونغ إنما هي نماذج معدودة، فالكتاب كله في نقد العصمة والذي يعكس رغبة هانس الملحة لأن يكون له دور في إصلاح وتجديد الكنيسة الكاثوليكية أو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية المتمثلة في سيطرة الفاتيكان.

---

(١٠٨) Infallibility,page 191-193

(١٠٩) Infallibility,page 216

(١١٠) Infallibility,page 250

ويمكن تلخيص نقد هانس كونغ للعصمة البابوية من خلال كتابه في النقاط التالية:

- تناول هانس كونغ الجذور التاريخية للعصمة والتي بدأت في تعظيم البابوات وكونه مهد لظهور العصمة.
- نقد هانس كونغ تعريف العصمة البابوية، ونقد ما استدل به مقرروا العصمة من نصوص في الكتاب المقدس.
- نقد هانس كونغ مجمعي الفاتيكان الأول والثاني وفصّل في بيان ما حدث فيهما من تدخل البابا في فرض العصمة البابوية على الحاضرين.
- يؤكد هانس كونغ في كتابه على أن العصمة البابوية عقيدة رومانية الأصل.
- وجّه هانس كونغ في كتابه عدة رسائل سواء للاهوتيين أو للبابا أو للمسيحيين.

الخاتمة

لله الحمد من قبل ومن بعد على تيسيره وإعانته لي في هذا البحث الذي تم التوصل فيه إلى النتائج الآتية:

١/ أظهر البحث مدى الحيرة والشعور بالتناقض في تعاليم الكنيسة لدى أرباب الفكر الكاثوليكي المعاصر، والرغبة الجادة من بعض اللاهوتيين المعاصرين في إصلاح الكنيسة الكاثوليكية.

٢/ أن عقيدة العصمة البابوية عقيدة رومانية محدثة من قبل الكاثوليك ، حيث لم يرد ذكرها كمصطلح وكمعتقد لافي نصوص الكتاب المقدس ولافي عصر آباء الكنيسة ولا حتى في المجامع المسكونية النصرانية قبل مجمعي الفاتيكان الأول والثاني، بل جاءت بعد عهد المسيح بقرون عديدة نتيجة اختلاط النصارى وتأثرهم بالرومان الوثنيين .

٣/ عدم وجود نص صريح في العصمة أدى إلى اختلاف النصارى عمومًا والكاثوليك بشكل خاص وتعدد قراءاتهم لنصوص الكتاب المقدس ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٨٢].

٤/ التعريف الذي قرره المجمع الفاتيكاني الأول والثاني يجعل من البابا بمنزلة الرسول المعصوم فيما يبلغ.

٥/ أن موقف هانس كونغ من العصمة البابوية هو الرفض وعدم الاعتراف بها واعتبارها رومانية الأصل كما هو ظاهر من خلال انتقاداته في كتابه.

٦/ أن نقد هانس كونج لم يكن متوجها إلى الكاثوليكية وإنما إلى الكاثوليكية الرومانية المتمثلة في سيطرة الفاتيكان.

٧/ ترك هانس كونغ كما كبيرًا من المؤلفات والمحاضرات والندوات التي تعد مصادر مهمة للفكر الكاثوليكي المعاصر وكذلك في حوار الأديان وتاريخها.

٨/ لم ينحصر نقد هانس كونغ في كتابه بموضوع العصمة البابوية فقط وإنما شمل كل ماله صلة فيها كالفاتيكان واللاهوتيين والبابا.

ومن التوصيات:

-دراسة موقف هانس كونغ من الإسلام من خلال مؤلفاته وتصريحاته، فقد خصص أحد مؤلفاته عن الإسلام، وكذلك دراسة منهج هانس كونغ في دراساته للأديان وموقفه منها.

-ترجمة كتاب معصوم لهانس كونغ لاحتوائه على معلومات وحقائق دقيقة تهم المشتغلين بالنقد المعاصر للمسيحية.

المصادر والمراجع

١-أثر المجامع الكنسية في تحريف العقيدة المسيحية، هيا سليم المعاويد، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٥م

٢-البابوية عند النصرانية، موسى عقيلي الشيخي، رسالة دكتوراه، جامعة ام القرى، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ

٣-البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، أحمد عجيبة، مكتبة المهتدين الإسلامية، ط١٤١٢،١هـ، ١٩٩١م.

٤-تاريخ الفكر المسيحي، جوناثان هيل، ترجمة سليم إسكندر، مايكل رأفت، مكتبة دار الكلمة، القاهرة ، ط١، ٢٠١٢م

٥-تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار الهمذاني، تحقيق: عبد الكريم عثمان، دار المصطفى للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٦-تجديد الفكر الديني في المسيحية، صموئيل رزقي، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م

٧-الجدل عند النصارى في الدفاع عن عقائدهم وموقف المسلمين منه، جعفر موسى كايد، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، عمان، ٢٠١٦هـ.

٨-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن تيمية، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م

٩-حبي العظيم للمسيح عليه السلام قادني إلى الإسلام، سيمون الفريدو كارابللو، أ.مريم، الرياض، ١٤٣٦هـ

١٠-دائرة المعارف الكتابية، القس: صموئيل حبيب،فايز فارس،منيس عبدالنور،جوزيف صابر،دار الثقافة

١١-دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، محمد علي البار، دار القاسم، دمشق.

١٢-دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١٣- الديانات العالمية ومنزلة الأخلاق في لاهوتها هانز كونغ نموذجا، عز الدين عناية، بحث في مجلة التفاهم، العدد ٥٥-٥٦ ، ص ٢١٥

١٤-سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، نوفل بن نعمة الله الطرابلسي، ص ١٥٤بيروت ١٨٧٦

١٥-الطائفة الكاثوليكية وأثرها على العالم الإسلامي، محمد بن علي ال زيلعي، ط١، ١٤٣٢هـ

١٦- عشرون قرناً في موكب التاريخ، عرض موجز للأحداث المهمة في تاريخ الكنيسة المسيحية، حبيب سعيد، وكالة الصحافة العربية،الجيزة ، مصر، ٢٠٢١م.

١٧-العصمة والأولية البابوية في المسيحية، حسن قرواشي، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تونس، الجزء ٢، ٢٠٠٢ م

١٨-عظماء أسلموا، راغب السرجاني، أقلام للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م

١٩-علم الأديان، تاريخه، مكوناته، مناهجه، أعلامه،حاضرة، مستقبله، خزعل الماجدي، مؤمنون بلاحدود، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ٢٠١٦م

٢٠-قاموس الأديان الكبرى الثلاث، اليهودية – المسيحية – الإسلام، نور الدين خليل، مراجعة محمود أدم، مؤسسة حورس الدولية، الأسكندرية، ٢٠٠٨م.

٢١-قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، صلاح قنصوه، وآخرون، مكتبة دار الحكمة،القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.

٢٢-قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين.

٢٣-قصة الحضارة، ويل وايريل ديورانت، ترجمة زكي نجيب، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

٢٤-الكتاب المقدس، جمعية التوراه الامريكية، جمعية التوراه البريطانية، القاهرة ١٩٣٨م.

٢٥-الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر – هونرمان، ترجمة: يوحنا منصور، الاب حنا الفاخوري، المكتبة البولسية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م

٢٦-اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الاب سليم بسترس، المكتبة البولسية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م.

٢٧-المجمع الفاتيكاني الثاني، عايض بن سعد الدوسري، مؤسسة دراسات تكوين، لندن، الطبعة الأولى ١٤٤٣هـ، ٢٠٢٢م.

٢٨-محاضرات في النصرانية، محمد أبوزهرة،الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ

٢٩-المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٨م.

٣٠-المسيحية والإسلام من الجوار الى الحوار، محمد الشاهد، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م

٣١-مصادر النصرانية دراسة ونقدا، عبد الرزاق عبدالمجيد الارو، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٣٢-معجم الأديان، جون ر.هينليس، ترجمة هاشم أحمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م

٣٣-معجم الأديان، ميرسيا الياد، يوان ب.كوليانو، ترجمة: خليد كدري، مؤسسة مؤمنون بلاحدود، المغرب، لبنان، ط١، ٢٠١٨م.

٣٤-معجم الإيمان المسيحي، الأب صبحي حموي اليسوعي، أعاد النظر فيه: الأب جان كوربون،دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

٣٥-معجم اللاهوت الكاثوليكي (قاموس فرنسي عربي)، كارل راهنر، هربرت فورغريملر، ترجمة: المطران عبده خليفة، دار المشرق،بيروت.

٣٦-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م

٣٧-موسوعة الأديان الحية، ر.س.زينر، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، الطبعة ١، ٢٠١٠م

٣٨-نحن وروما والفاتيكان، أسد رستم، دار المعارف، ١٩٥٩م .

٣٩-النصرانية ساجد أمير، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض،٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ

٤٠-الهرطقة في المسيحية، تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية، ج.ويتلر،ترجمة: جمال سالم، التنوير للطباعة والنشر،بيروت، ط٢، ٢٠١٠م

٤١-اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة السادسة ١٤٣٥هـ

المصادر الأجنبية

42- Oxford Wordpower / oxford University Press/UK/2000
43- New catholic encyclopedia/second edition/the catholic university of America. Washington,D.C 1981
44- Hans kung,Infallibility,doubleday&company,Inc,first edition,1971,USA

المواقع الالكترونية

https://www.britannica.com/topic/papalinfallibility
https://www.bangsfuneralhome.com/obituary/brain-tirney
https://www.spiegel.de/international/zeitgeist/controversial-theologian-hans-kueng
https://www.americamagazine.org/faith/1973/07/07/infallibility-debate-july-7-1973